



www.  
www.  
www.  
www.

Ghaemiyeh

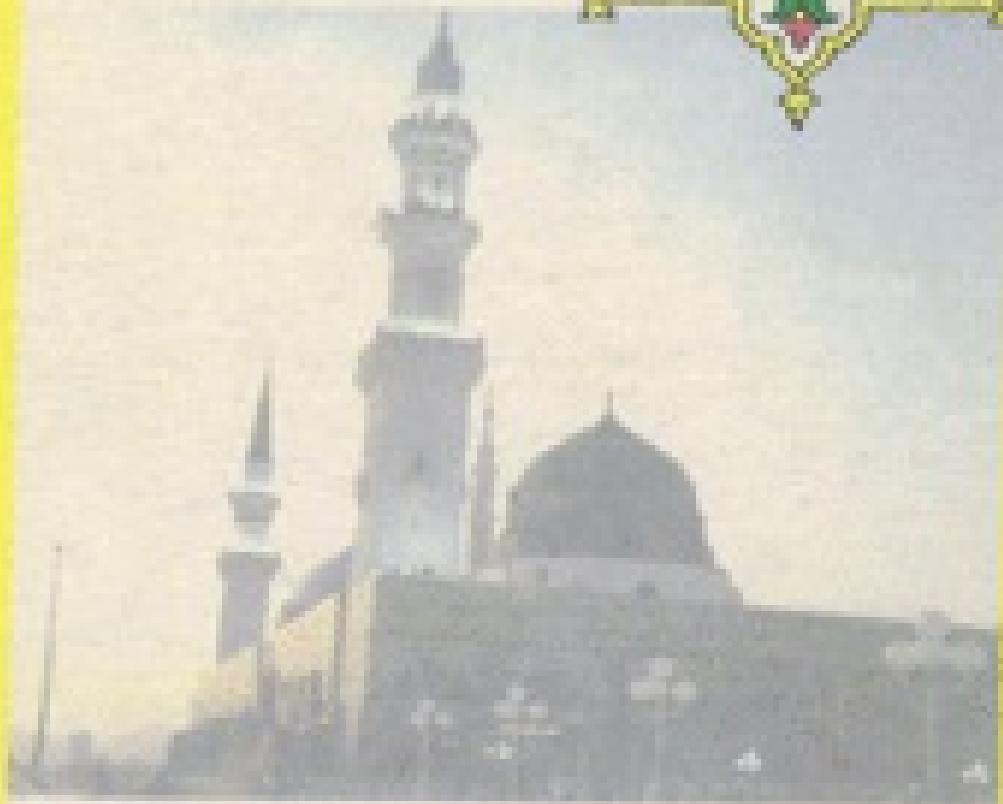
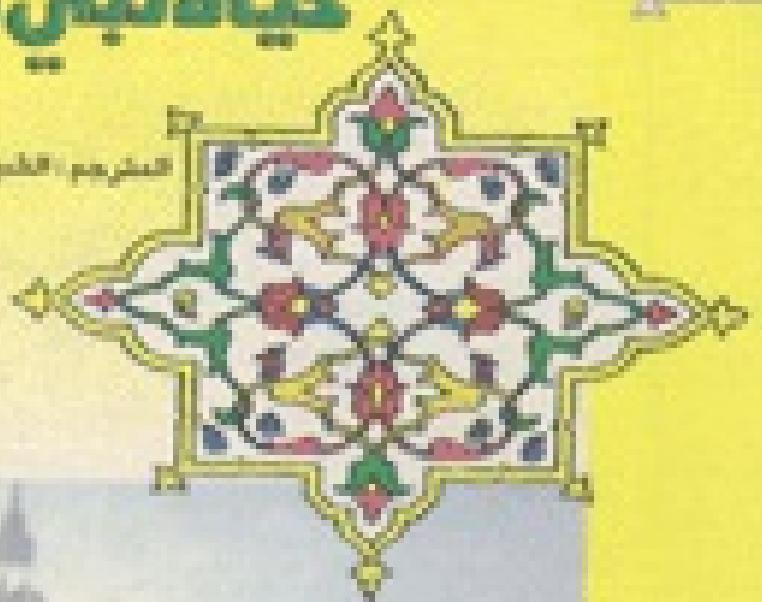
.com  
.org  
.net  
.ir

نقطة سريعة الى

# حياة نبي الاسلام

العنوان : لجنة التأسيس

المشرف : التاريخ محمد علي التاسع



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

# نظرة سريعة إلى حياة نبي الاسلام (صلی الله علیه وآلہ وسلم)

كاتب:

## لجنة التحرير في طريق الحق

نشرت في الطباعة:

مؤسسه في طريق الحق

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
10	نظرة سريعة إلى حياة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم)
10	هوية الكتاب
10	اشارة
13	مقدمة
13	اشارة
16	الجزرية العربية قبل ظهور الإسلام
21	ولادته وطفولته
21	اشارة
22	محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) الولي العجيب
23	حليمة (رض) مرضعة محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم)
24	محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) في غمرة الأحداث
24	صفات وملامح محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم)
24	اشارة
28	حديث بحيري الراهب مع محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم)
30	رعاية الغنم وأثره في حياة الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم)
31	عفنه وطهارة نفسه وتعاليه عن المغريات
35	الزواج الأول لمحمد (صلى الله عليه وآلها وسلم)
35	اشارة
36	اقتراح خديجة (سلام الله عليها)
36	من هي خديجة؟
38	اقتراح الزواج
41	نماذج من تهم المسيحيين (المستشرين)

43	استحواب للمستشكلين .....
46	الاتهامات الباطلة : .....
51	غريزة التقليد والمماشاة: .....
51	مجتمع الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام - - - - -
53	الأبياء قادة المجتمعات لا تبعاها .....
54	حكم النبي محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بين قريش في وضع الحجر الأسود .....
57	رسالة محمد(صلى الله عليه وآلـه وسلم) العالمية .....
58	محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في سن الأربعين .....
59	هل كان محمد(صلى الله عليه وآلـه وسلم) يمر في غار (حراء) بمرحلة دراسية وتعليمية؟ .....
60	ما هو الوحي؟ .....
61	هل الوحي نوع من المرض؟ .....
63	الوحي وعلم اليم .....
65	طريقة النبي(صلى الله عليه وآلـه وسلم) .....
65	إشارة .....
66	خديجة في انتظار محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) .....
67	علي (عليه السلام) أول من أسلم من الرجال .....
67	تشريع الصلاة .....
68	ثلاث سنوات من التبليغ العملي .....
69	دعوة الأقربين، وأول معجزة لمحمد(صلى الله عليه وآلـه وسلم) .....
73	الدعوة العامة لمحمد(صلى الله عليه وآلـه وسلم) .....
73	إشارة .....
73	نداء محمد(صلى الله عليه وآلـه وسلم) على الصفا .....
75	قريش تقدم الشكوى لأبي طالب (عليه السلام) .....
76	قريش تحاول إغراء النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) .....

79	تعذيب قريش ..
85	الهجرة من أجل الهدف ..
85	إشارة ..
86	يثرب ... الأرضية الصالحة ..
86	المؤامرة ..
87	الاخلاص والفداء ..
87	إلى غار ثور ..
88	إلى يثرب ..
89	يثرب تنتظر ..
90	درس من الهجرة ..
93	المجتمع الفاضل ..
93	إشارة ..
93	ابتكار في ميدان الآخرة الاسلامية : ..
96	الآخرة الاسلامية في عصرنا الحاضر: ..
97	نحو أخوة الاسلام جديدة ..
99	نبي الرحمة: ..
99	إشارة ..
102	هل انتشر الإسلام بالسيف؟ ..
107	ايديولوجية التفاهم الدولي: ..
107	إشارة ..
108	1 - حرب بدر: ..
109	و هنا نزلت الآيات الكريمة: ..
110	2 - حرب أحد: ..
110	3 - الأحزاب - الخلق: ..
110	4 - بنو قریظة: ..

111	5 - حرب بني المصطافق .....
111	6 - خير : .....
112	7 - مؤنة .....
112	8- فتح مكة : .....
113	9 - حنين - هوازن : .....
117	الإسلام دين الشرق والغرب: .....
118	من مكة دعى النبي العالم الى الإسلام: .....
119	شاهد آخر على عالمية الإسلام : .....
121	وظيفتنا في تبليغ الإسلام: .....
123	خلود الإسلام وختمية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .....
123	اشاره .....
124	الإسلام الدين الخالدي .....
126	الختامية في القرآن الكريم .....
127	الختامية في الأحاديث الشريفة: .....
129	واقعة غدير خم : .....
129	اشاره .....
133	رواية حديث الغدير .....
134	معنى الحديث : .....
137	حاجة المجتمع الى الأخلاق .....
137	اشاره .....
138	وحول النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالى: .....
139	محمد بين الناس : .....
142	تسامحه وعفوه : .....
143	نظافته وطهارته : .....
143	عبادته وزهده .....

146	الحاجة الى القيادة :
146	اشارة
149	هل عين النبي الأكرم خليفة؟
151	الشورى في الخلافة :
156	السقيفة وما جرى فيها
163	الفهرست
170	تعريف مركز

# **نظرة سريعة إلى حياة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم)**

## **هوية الكتاب**

اسم الكتاب ..... نظرة سريعة إلى حياة نبي الإسلام صلى الله عليه وآلـه و سلم

المؤلف ..... لجنة التحرير في طريق الحق

المترجم ..... الشيخ محمد علي التسخيري

الناشر ..... مؤسسة في طريق الحق

عدد النسخ ..... 3000

المطبعة ..... سلمان الفارسي

الطبعة ..... الثانية

تاريخ النشر ..... 1425 هـ - ق 2004 م

ISBN: 964 - 6425 - 69-0

السعر 1600 تومان

ص: 1

**اشارة**

نظرة سريعة

الى

حياة نبي الاسلام(صلى الله عليه وآلـه وسلم)

المؤلف:

لجنة التحرير في طريق الحق

ص: 2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص: 3

## اشارة

من جملة النشرات التي صدرت عن مؤسسة «في طريق الحق» دورتان هما الثالثة والرابعة وتضمّان شرحاً مختصراً لحياة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويخلل في الاثنين الجوابُ على الشبهات والتخرصات التي اطلقها أعداء الإسلام، وقد طُبعت هاتان الدورتان باللغة الفارسية عدّة مرات وتم توزيعهما بين الشباب، ثم تُرجمتا إلى اللغة العربية وأرسلتا إلى الشباب المسلم خارج إيران عن طريق المراسلة ، وقد لقيتا اقبالاً منقطع النظير.

وهذا الكتاب هو مجموع تلك الأعداد العشرين قد نظمت و طُبعت بهذا الشكل، كما نشرت المجموعة نفسها باللغة الفارسية تحت عنوان «نگرشی کوتاه به زندگی پیامبر اسلام صلی الله علیه وآلہ وسلم». نسأل الله تعالى ، ان يوفقنا لخدمة الإسلام وان يدعم الثورة الإسلامية في ايران التي انطلقت بقيادة الإمام الخميني لتشمل العالم الإسلامي فيتقرب المسلمين، وينتکاتقون لينهضوا في سبيل نشر الحقائق الإسلامية وتطبيق القيم الدينية فيخلق الإنسان في الأفق الرفيعة للإسلام.

لجنة التحرير

مؤسسة في طريق الحق

ص: 4

العالم والعرب

قبل ظهور الاسلام

ص: 5

كان الناس في كل أنحاء العالم قبل أن تشعّ أنوار الرسالة الإسلامية يعيشون وضعًا مؤسفًا للغاية من الناحية العقائدية والفكريّة، وفي شؤونهم الفردية والاجتماعية.

ولئن كانت مناطق العالم تتفاوت في بعض الأمور إلّا أن القاسم المشترك بين أفراد البشرية أينما وجدوا آنذاك كان متمثلاً في الانحراف الفكري، التقاليد الاجتماعية البالية سيطرة الخرافات والأساطير على العقول والاذهان، والمشاكل الاجتماعية والأخلاقية.

\*\*\*

فقبل ظهور الإسلام كان اليهود قد غيّروا الدين الذي جاء به النبي موسى (عليه السلام) واظهروا أصوله بصورة جامدة متحجّرة وافرغوها من محتواها الحقيقي واساعوا الروح المادية في حياة الناس.

والمؤسف أن المسيحية التي كان النبي عيسى (عليه السلام) قد حمل رسالتها من قبل الله تعالى إلى الناس لتهذيب الأخلاق وتطهير النفوس وتخلصها السيطرة المادية البشرية ... هذا الدين هو الآخر وقع تحت تأثير رجال الكنائس فغيّروا من روحه واستغلوه لمنافعهم الشخصية وتحول إلى سيف مصلت على رقاب الناس، اضف إلى ذلك أن المسيحية بطبيعتها لم تكن

حاوية للقوانين الكاملة في تقرير الانظمة الاجتماعية المتعددة، وهكذا كانت النتيجة أن بقيت عاجزة عن قيادة البشرية المعدبة ونجاحها.

ومن هنا نعلم كيف كان الناس في شتى مناطقهم - المتدين منهم وغير المتدين - شركاء في التقاليد المغلوطة وسيطرة الخرافات والاساطير والغرق في الاوهام والمشاكل المتنوعة.

вшعلة الفساد تستعر ... الخرافات والأوهام تتحمّل في مصير الناس باسم العقيدة والمذهب.

الشرك في العبادة، والتثليث في الالوهية حمل الاذعان به على الناس تحمياً، الكثيرون توجهوا العبادة الاصنام، النار، البقر والنجوم. والأنكى أو الألّ من هذه وتلك، عبادة الشهوة والفروج والتي كان لها رواج حينذاك. إن هذا الفساد المستشري والانحطاط الاخلاقي والتدھور المعنوي الذي كان ناشراً ظلاله السوداء على كل بقعة من بقاع الارض كان سبباً ومحجاً للتخبّط والانحراف في المجتمع البشري، وإلراقة الدماء والظلم والعدوان وفي الواقع كانت البشرية على مشارف الهلاك والسقوط الابدي.

### الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام

كان للجزيرة العربية - التي سميت بالارض المحروقة - وضع عجيب فالصحراري الجرداء القاحلة والوديان الجافة والتلال الصخرية، هي كل ما تشكله هذه المنطقة التي كانت قليلة الماء وغير ذات زرع، حشائشها كانت عبارة عن الاشواك والحسك، وبيوتها كانت اكواخاً ضئيلة يسكنها موجود يسمى بـ(الإنسان) يعيش في اغلب الاحيان على التمر والماء الآسن ليسدّ رمقه .

الحروب والصراع القبلي كانت هي اساس النظام الاجتماعي لسكان شبه الجزيرة العربية، ولم تعد مدينة مكة المكرمة سوى معبد للاصنام،

ولم يكن اغلب ساكنيها غير مجموعة من أهل المنافع وأكلي الربا الذين يمتّصون دماء الآخرين لأجل الدرهم والدينار.

\*\*\*

الحياة القبلية لسكان البادية العربية، واتخاذ الكثير من حياة الرعي بالإضافة للاقطاع البغيض كل هذا كان مصدر عذاب شديد لهؤلاء السكان، الحالة الاقتصادية المتردية الناشئة من استغلال رؤساء القبائل والمرابيين قد مسّى مفهوم الحياة الإنسانية وحوّل جو السعادة الاجتماعية إلى جوًّا مظلم مشحون بالماسي والآلام . لقد كانت مجموعة الآثرياء المرابيين التي اتخذت من التجارة عملاً ومهنة في مكة المكرمة قد بدأت بجمع الأموال والثروات الطائلة من طرق غير مشروعة، واخذت باستغلال الطبقات الضعيفة الفقيرة استغلاًّا بشعاً وكان هذا في الواقع معّقاً للنفاوت الظالم بين طبقات المجتمع الواحد .

وكانت القبائل العربية بسبب الجهل الذي كانت تعيشه آنذاك، قد اتخذت من الاصنام والمظاهر الطبيعية معبدات لها وحوّلت الكعبة الشريفة إلى بيت للاصنام<sup>(1)</sup> لقد كانت أي عادة العادات الخاطئة أو من أي تقليد من تقاليدهم وستّتهم البالية آنذاك، كافياً لوحده أن يحطّم ويمحّي عظمة أي أمّة؛ إن الوضع الذي أوجدهه الانحرافات اللاإنسانية في المجتمع العربي قبل الإسلام كان وضعاً ثمرته الفساد والتردد وغذاؤه لحم الإنسان، وشعاره الخوف والقلق، ومنطقه ودليله السيف.

وكان العرب يحسبون ويتخيّلون أن الأفضلية والرفة هي للعربي والعربي فقط دون غيره من الناس، وإن للدم العربي والعنصر ميزة تجعله أعلى شأنًاً من الآخرين وهكذا ترى أن جذور القومية والعنصرية المتفشية

ص: 8

---

1- شرح نهج البلاغة للخوئي ج 2 ص 173، التاريخ الجامع للاديان ص 47.

في عصرنا هذا ترجع الى تلك الجاهلية الأولى التي شكلتها بلونها الخاص، وحتى بين العرب انفسهم؛ كان التفاضل موجوداً على أساس خاوية موهومة كزيادة الولد وكثرة المال وبها كانت القبيلة تفتخر على اختها، والإنسان على أخيه .

كانوا يعذّون القتل وسفك الدماء شجاعة وبطولة، وكان السطو والاغارة الوحشية والعدوان، والتجاوز والظلم، بعضاً من مفاخرهم، وكانت غيرتهم المفرطة هي في دفن بناتهم البريئات وهن على قيد الحياة، وكانوا -كما يحدثنا القرآن الكريم عنهم-: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُثْنَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ)<sup>(1)</sup> ويظل متنهزاً أي فرصة ليدسها في التراب حيّة لأنّه بهذا العمل - حسب تفكيره - الأرعن - يغسل العار عن نفسه ويُجنب نفسه وعشيرته فضيحة وعار سببها إن أغارت عليهم القبائل في المستقبل، وهذا هو الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في إحدى خطبه المذكورة في الكتاب الخالد نهج البلاغة يقول واصفاً الحياة الاجتماعية للعرب:

«وَاتَّمْ مَعْشِرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرَّ دَارٍ، مُنِيَخُونَ بَيْنَ حَجَارَةِ خَشْنَ، وَحَيَاتٌ صَمٌّ تَشْرِبُونَ الْكَدْرَ، وَتَأْكِلُونَ الْجَشْبَ، وَتَسْفَكُونَ دَمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ ارْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيهِمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ»<sup>(2)</sup>.

وهكذا نجد ان سكان شبه الجزيرة العربية كانوا يعيشون وسط لجة من الفساد والتردي، وقد تحولوا بسبب الجهل واللامبالاة الى مجموعة وحشية، طالبة للهوى قد أخذ منها الفراغ مأخذها فعاشوا الضياع وابتلوا بالخرافات والأساطير، شأنهم في ذلك شأن أكثر سكان العالم من معاصريهم<sup>(3)</sup>.

ص: 9

1-1 - سورة النحل : 58 .

2-2 - نهج البلاغة: شرح محمد عبده: ص 74 ط بيروت.

3-3 - نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ص 74 ط بيروت .

ومن البدئي أن يلزم لاصلاح وبناء مثل هذا المجتمع الخاوي والمتردى، انقلاب اساسي وشامل لكل الجوانب الحياتية للانسان، كما ان من اللازم والضروري أن يكون قائد هذه النهضة الشاملة رجلاً مؤيداً بقوى السماء ومنتخباً من قبل الله تعالى لكي يبقى بعيداً عن احتمال جرّ المنافع الشخصية والتعدّي على حقوق الآخرين، والقضاء على جميع الشخصيين بحجّة «التصفية».

نعم لا بدّ ان يكون هذا القائد رجلاً إلهياً يعمل في سبيل الله وحده وي العمل لأجل رفاه وسلام وتقديم المجتمع البشري كلّه، لأنّه وبدون شك اذا كان القائد لا يتمتع بالروح المعنوية والأخلاق العالية ولم يكن للملكات والصفات الانسانية الفاضلة وجود في شخصيته، مثل هذا القائد لا ولن يمكن من اصلاح مجتمع او نجاۃ امة.

إن القادة المؤيّدين بنصر السماء هم وحدهم فقط القادرون على إيجاد التغيير الجذري العميق للبناء في الشؤون الفردية والاجتماعية للبشرية.

والآن لا بدّ أن ننظر الى شخصية القائد الجديد لعملية الانقلاب العالمي، وما هي التغييرات التي أحدثها في هذا العالم.

النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

ولادته وطفولته

ص: 11

... كانت مدينة مكّة المكرّمة غارقة في ظلام وسكون ثقيلين ولا يطالع الناظر إليها أية مظاهر للحيوية والنشاط، اللهم إلا ذلك القمر الدؤوب الذي بدأ كعادته كل يوم يتحرّر من خلف تلك الجبال الجرداء المسودة، ويرتفع الآفاق رويداً رويداً لينشر أشعته الفضيّة الها媊ة على تلك البيوت البسيطة الغيرية عن تعقيدات المدينة وتجمّلاتها .

وبدأ الليل يتجاوز منتصفه قليلاً، نعم أرض الحجاز القاحلة نسيم لطيف عذب جعلته يخلد إلى الراحة وينعم بالهدوء، والنجوم هي الأخرى بدأت في تلك اللحظات الحلوة تضفي على ذلك المشهد الطبيعي صفاء ما، وتعكس بلا لأنها على الأرض الطيبة جاذبية سحراً وتطالع ساكني مكّة المكرّمة بابتسامة عذبة جميلة ... وحان وقت السحر وطفقت طيور السحر الساحرة تعزف ألحانها البريئة التي تحبي القلوب بنغماتها الموسيقية وكأنها تناجي الحبيب في ذلك الجو الفردوسي العابق، ومع أن آفاق مكة كانت بانتظار فجرها اللاحد الحبيب إلا أن سكتاً مبهماً محيراً لم يزل متحكماً في هذه المدينة .

الجميع كانوا في نومهم العميق إلا آمنة بنت وهب (سلام الله عليها)، فقد كانت يقظة وبذلت تحسّن بالألم الذي كانت تنتظره ... الألم الذي أخذ يشتّد ويشتّد ... وفجأة رأت في غرفتها عدّة نساء تعلوهنّ المهابة ويجلّلنهنّ النّور، وتفوح منها روانٌ زكية لم تعهد لها آمنة (سلام الله عليها) من قبل، وتحيرت

آمنة (سلام الله عليها) في شأن هؤلاء النسوة المجهولات وكيف استطعن الدخول من الباب الموصدة [\(1\)](#)!....

ولم يطل تحيرها إذ جاء الى الدنيا ولیدها الحبيب، وبهذا قررت عينها بعد شهور من الانتظار بولیدها الذي أطل على الدنيا في سحر اليوم السابع عشر من ربيع الأول [\(2\)](#) وفرح الجميع بهذا المولود المبارك الذي أنارت طلعته بيت آمنة (سلام الله عليها) المظلم، والتي افتقدت في تلك الحالة زوجها الذي لم تمеле يد الموت ليتسنى له رؤية الوليد الحبيب، إذ اختطفته حين رجوعه من الشام، فتوفي في يثرب ودفن هناك، حيث ترك آمنة (سلام الله عليها) وحيدة مع جنينها الذي كان يؤنس وحشتها القاتلة [\(3\)](#).

### **محمد(صلى الله عليه وآلـه وسلم) الوليد العجيب**

ولد محمد(صلى الله عليه وآلـه وسلم) وصاحبـت ولادته حـوادث مختـلفـة سـوـاء فـي السـمـاء أو فـي الأـرـضـ، وـخـاصـةـ فـي الشـرـقـ الذـيـ كانـ مـهـدـ حـضـارـةـ ذـلـكـ العـصـرـ، وجـاءـتـ هـذـهـ حـوـادـثـ وـكـانـهـ تـرـىـ دـورـ وـكـالـاتـ الـأـنـبـاءـ السـرـيـعـةـ فـيـ عـصـرـنـاـ هـذـاـ التـبـيـءـ عنـ وـقـوـعـ حـادـثـ خـطـيرـ.

ولـأنـهـ كـانـ مـقـدـراـًـ لـهـذـاـ الـوـلـيدـ الجـدـيدـ أـنـ يـحـطـمـ طـوـاغـيـتـ عـصـرـهـ وـيـقـضـيـ عـلـىـ كـلـ تـلـكـ العـادـاتـ وـالـسـنـنـ الـبـالـيـةـ لـيـقـيمـ عـلـىـ انـقـاضـهـاـ أـسـسـ التـقـدـمـ وـالـرـقـيـ الـبـشـرـيـ ...ـ لـهـذـاـ كـلـهـ كـانـ لـابـدـ لـصـفـّـارـاتـ الإـنـذـارـ أـنـ تـعلـنـ اـنـتـهـاءـ عـهـدـ الـظـلـامـ وـبـداـيـةـ النـورـ، وـمـنـ هـذـهـ حـوـادـثـ أـنـ أـيـوـانـ كـسـرـىـ أـنـوـشـرـوـانـ الذـيـ كـانـ الـأـنـظـارـ مـشـدـوـدـةـ إـلـيـهـ وـإـلـيـ صـاحـبـهـ حـيـثـ كـانـتـ تـرـىـ فـيـهـ مـثـلاـًـ أـعـلـىـ لـلـقـدـرـةـ وـالـسـلـطـانـ الذـيـ لـاـيـزـوـلـ ...ـ هـذـاـ الـأـيـوـانـ اـضـطـرـبـ فـيـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ وـمـادـتـ بـهـ الـأـرـضـ فـسـقـطـتـ اـرـبعـ عـشـرـةـ شـرـفةـ مـنـ شـرـفـاتـهـ ...ـ

ص: 13

1-1 - بـحارـ الـأـنـوارـ: جـ 15ـ، صـ 325ـ .

2-2 - المـصـدرـ نـفـسـهـ : صـ 250ـ .

3-3 - المـصـدرـ : جـ 15ـ، صـ 125ـ .

وهناك أيضاً نار فارس قد خبت وانطفأت فجأة ولأول مرة منذ ألف سنة<sup>(1)</sup>. وهكذا تتبه سدنة معابد النار والكهان الذين منعهم حجب التعصّب والتقليل الأعمى عن التفكّر في آيات الله في الكوْن وفي أنفسهم، هؤلاء تتبهوا إلى أن للسماء خبراً وأن لهذا اليوم شأنًا خطيراً.  
وكان لجفاف بحيرة ساوة أثر في تنبية منطقة أخرى لحقيقة ما يجري على وجه الأرض<sup>(2)</sup>.

### حليمة (رض) مرضعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

كان العرب منذ القدم قد اعتادوا على تسليم أطفالهم إلى المراضع الالاتي كنّ يسكننّ الباذية وذلك لتنشئة الطفل نشأة سليمة. ففي البوادي يتوفّر الهواء الطلق والحياة الهدامة بعيدة عن صخب المدينة وضوضائها، أصنف إلى كل ذلك الفصاحة في اللغة العربية، حيث كان منبعها الأصيل سكان البوادي البعيدين عن الاختلاط بغير العرب.<sup>(3)</sup> لهذه الأمور من جهة ولقلة لبن آمنة من جهة أخرى ارتأى عبد المطلب (عليه السلام) جدّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكفيه أن يختار للوليد الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مرضعة نجيبة يطمئنّ إليها في رعايتها والعناء بها، وكان أن وجد حليمة بنت أبي ذؤيب وهي من قبيلةبني سعد المعروفة بشجاعتها وفصاحتها، وحليمة (رض) هذه تعد من النساء الأصيلات العفيفات وهكذا اصطحبت حليمة (رض) محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى دياربني سعد في الباذية وكانت ترعاه رعايتها لابنها بل أكثر من ذلك فقد كان قلبها قد امتلأ حبّاً وشغفاً بهذا الطفل منذ اللحظة الأولى التي أبصرته فيها.

وفي تلك السنة كان قد أصاببني سعد القحط ومسّهم الضرّ والشقاء

ص: 14

- 
- 1- (1) بحار الأنوار ج 15 ، ص 258 - 263 .
  - 2- بحار الأنوار ج 15 ، ص 258 - 263 .
  - 3- السيرة الحلبيّة : ج 1 ، ص 99 .

وأجذبت بهم الأرض فلا مطر ولا زرع ولا رعى.

ولكن ما إن وصل محمد(صلى الله عليه وآلہ وسلم) الى تلك الديار، إلا وبدأت البركة والخير تغمران منزل حليمة فقد سمنت غنمها بعد الهزال، وزاد لبنها بعد النضوب، ونعمت هي وأبناؤها بحياة راضية هادئة بعد حياة الفقر والعوز والفاقة.

ونما محمد(صلى الله عليه وآلہ وسلم) لا كما ينمو غيره من الأطفال، فقد كان أسبقهم عدواً وأفصحهم لساناً.

وكانت حالة اليمين والبركة التي حلّت مع محمد (صلى الله عليه وسلم) بينبني سعد واضحة وظاهرة وقد أدركها الجميع بسهولة واعترفوا بما لهذا الرضيع من شأن حتى أن الحارث زوج حليمة قال لها يوماً : «أتعلمي يا ابنة أبي ذؤيب إنك قد حملت نسمة مباركة؟»<sup>(1)</sup>

### محمد (صلى الله عليه وآلہ وسلم) في غمرة الأحداث

كان محمد(صلى الله عليه وآلہ وسلم) لقد بلغ السادسة من عمره المبارك حينما خرجت به أمّه آمنة(سلام الله عليها) الى يثرب لزيارة أخواله من بنى النجار<sup>(2)</sup> إضافة الى زيارة قبر زوجها الحبيب عبد الله، وبعد أن قضوا وطراهم من زيارة يثرب قفلوا راجعين الى مكة المكرمة، وفي الطريق تلّم العلة بأمنة ولا تكاد تصل الى «الأبواء» حتى تودع هذه الدار وتلتحق بالرفيق الأعلى<sup>(3)</sup> وهكذا يحرم محمد (صلى الله عليه وآلہ وسلم) من حنان أبيه وعطفهم وهو في السن التي يحتاج فيها أمثاله إلى رعاية الوالد ومحبة الوالدة .

### صفات و ملامح محمد(صلى الله عليه وآلہ وسلم)

#### اشارة

لم تكن ولادة محمد(صلى الله عليه وآلہ وسلم) وما صاحبتها من حوادث خارقة فحسب

ص: 15

1 -1 - مقتبس من بحار الأنوار والسيرة الحلية وسيرة ابن هشام .

2 - سيرة ابن هشام : ج 1 ص 168 .

3 - سيرة ابن هشام : ج 1 ص 168 .

بل كانت سيرته وهو في طفولته متميزة عن أقرانه وأمثاله وهذا هو ما كان يدعو جده عبد المطلب (سلام الله عليه) إلى اعزازه واحترامه بشكل مثير [\(1\)](#).

وهذا هو عمّه أبو طالب يصف طفولة ابن أخيه فيقول: «لم أجد لمحمد كذبة قط ولا عملاً مخالفًا للحكمة، لم يكن ليضحك في غير محله، أو يتكلّم فيما لا يعنيه وكان يقضى جل وقته وحيداً» [\(2\)](#). وما إن بلغ محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) السابعة من عمره حتى كان لليهود شأن معه فقد كانوا قد قرأوا أن النبي [\(صلى الله عليه وآلـه وسلم\)](#) لا يمكن أن يأكل الحرام وأنه يجتنب ما فيه شبهة، فسرقوا دجاجة وأرسلوها إلى أبي طالب وراقبوا هذه العملية فأكل الجميع لعدم علمهم بأصل القضية إلا محمداً فقد امتنع عن الأكل وحفظه الله عن أكل الحرام لثلا يتربي لحمه ودمه على الحرام وهو المعد الحمل رسالة الله إلى البشرية.

وهناك ادرك اليهود أن لهذا الطفل شأناً وأنه هو الموعود [\(3\)](#) وأما عبد المطلب زعيم قريش وكثيرها فلم يكن يعامل محمداً كما يعامل باقي أحفاده بل كان دائمًا يظهر رفعة مقامه وعلو منزلته ويتنبأ بما يكون له من شأن.

كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول ذلك الفراش إجلالاً لأبيهم وكانت هيبة هذا الشيخ تمنعهم من الدنو والاقتراب منه إلا ذلك الطفل محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فقد كان يدنو منه متى شاء وقد يسبقه إلى مكانه فيجلس فيه فيحاولن أعمامه رده ومنعه عن وهنا ينبرى الشيخ عبد المطلب فيكتف بهم عنه ويقول: «دعوا ابني فوالله إن له لشاناً عظيماً»، وهنا يتجادل عبد محمد [\(صلى الله عليه وآلـه وسلم\)](#) الحديث مع عبد المطلب سيد مكة وعظمتها [\(4\)](#).

ص: 16

---

1- مقتبس من بحار الأنوار: ج 15، ص 3382 - بحار الأنوار: ج 15، ص 336 .

2- مقتبس من بحار الأنوار: ج 15، ص 3382 - بحار الأنوار: ج 15، ص 336 .

3- بpear الأنوار: ج 15، ص 336

4- بpear الأنوار: ج 15، ص 142 سيرة ابن هشام : ج 1، ص 168 .

خواطر من حياة محمد (صلى الله عليه وآلـه وسـلم)

في طفولته وشبابه

ص: 17

طوى محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) دور طفولته التي عانى فيها من ألم اليتيم... في ظل جده الكبير عبد المطلب (عليه السلام)، وعمّه الرّؤوف أبي طالب (عليه السلام)، وكان

لا هذه السنوات الأولى من عمره المليئة بالآلام اليتيم الذي كان ولاشك باعثاً على الحزن العميق والأسى الشديد، في نفسه الشريفة ... كان هذه السنوات كانت ضروريّة ولازمة لوضع الأسس القويّة لشخصيّته العظيمة، فقد أعطته هذه الأحداث وما صاحبها من آثار دارساً مؤثراً في الصبر على المكاره، وتحمل المسؤوليات الثقيلة التي كان يعده للقيام بها في المستقبل.

وببدأ محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) يتخطّى مرحلة الطفولة ليدخل دور الفتّوة والشباب الذي تتفتح فيه القوى والقابلities، وتنمو فيه المدارك والغرائز ... ولئن كان قد حرم رعاية الوالد وحنان الأم وهو أخرج ما يكون إليهما فإن الله تعالى هيأ له من عمّه أبي طالب(عليه السلام) خير راع وكفيل، وقد كان عند حسن ظن أبيه عبد المطلب (عليه السلام) حينما عهد إليه أمر رعاية

محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وكفالته من بعده.

وقام أبو طالب (عليه السلام) بالمهمة خير قيام فاغدق عليه من حبه وخصّه بعطفه وضمّه إلى عائلته وأسكنه بيته، وكيف لا يكون كذلك و محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ذكر أخيه الشقيق ووصيّة والده العظيم؟

وهكذا صار أبو طالب (عليه السلام) الأب الثاني لمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم) والمربي المخلص وتوطّدت رابطة الحبّ والمودّة بين العم وابن أخيه، حتّى لم يعد أحدهما يستطيع أن يفارق الآخر، فكان أبو طالب (عليه السلام) يأخذ يد محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ويدور معه في أسواق العرب، مثل (عكاظ) و (ذي المجاز)، وحتى حينما عزم أبو طالب(عليه السلام) على السفر إلى الشام في تجارة له، فإنه لم يقو على فراق محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وخاصةً حينما وجد أن هذه الرحلة قد صادفت هوى في نفس محمد(1) ورغبة إليها، فصمم على اصطحابه، قائلاً لأهل بيته: والله لأخرجنّ به معى ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً.

وحيذاك ركب محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) الناقة ليقطع طريق الشام الطويل بادئاً بذلك رحلته الأولى إلى الشام(2).

### حديث بحيري الراهب مع محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)

في أحد الأيام، وفيما كانت قافلة قريش التجارية تقترب من (بصرى)(3) أطلّ راهب يسمى (بحيري) من صومعته، ولشدّ ما تملكه الحيرة والعجب حين رأى قافلة تتجه صوب بصرى، وقطعة من الغمام قد ألت ظلالها فوق بعضهم، تسير معهم إذا ساروا وتنف إذا وقفوا، وتتجه حيّاماً اتجهوا .

ص: 19

---

1- (صلى الله عليه وآله وسلم)

1-2 - سيرة ابن هشام : ج 1، ص 180 .

2-3 - مدينة صغيرة تقع في اطراف الشّام .

فلما رأى بحيري ذلك نزل من صومعته، ثم أرسل اليهم أحد غلمانه قائلاً:

«إِنِّي قد صنعت لكم طعاماً يا عشر قريش فأنتم اليوم ضيوفنا».

فاستجابوا للدعوة، وحضرروا عنده وتخلف رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من بين القوم لحداثة سنّه، وبقي عند رحالهم.

ولم يجد فيهم بحيري طلبه وغايته، فسألهم، هل بقي أحد منكم لم يحضر؟ فأجابوه أن قد حضر جميعهم إلا غلام هو أحد ثلثهم فقال بحيري: أدعوه فليحضر هو الآخر معكم.

وذهب بعضهم فأحضر محمداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فلما رأه بحيري جعل يلحظه لحظاً شديداً ويصدق فيه، حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام اليه بحيري، وجرت بينهما المعاورة التالية:

بحيري: يا غلام، أسائلك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه.

محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أغضت شيئاً قطّ مثلهما، وليسما هما سوى صنمين من حجر يعبدهما قومي.

بحيري: فبالله عليك إلا ماصدقتي فيما سألك.

محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): سل عما بدا لك فإنني صادق دائماً.

وبعد معاورة قصيرة بينهما وقع بحيري على يديه وقدمييه يقبلهما ويتمتم قائلاً: هو ذاك ... هو ذاك ويسأله أبو طالب: أي شيء هو؟

فيقبل بحيري على أبي طالب (عليه السلام) ويقول له: ما هذا الغلام منك؟ فيجيب أبو طالب: إنه ابني.

بحيري: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً.

أبو طالب: صدقت فانه ابن أخي.

بحيرى: صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليسعون في هلاكه فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

أبو طالب: ماذا سيفعل، وما هو شأن يهود معه؟

بحيرى: لقد رأيت في عينيه علامات النبوة .

أبو طالب: ومن أين عرفت ذلك؟

بحيرى: من العمامة التي كانت تظلها، من الكتب التي رأيت فيها أوصافه ونعته، من نبرات صوته الروحية، ومن أمور أخرى .

وأخيراً قال له أبو طالب(عليه السلام) : سوف لن يتركه الله وسيحفظه من شر أعدائه اليهود<sup>(1)</sup>.

وتحرك الركب عصر ذاك اليوم وسرت همهمة بين القوم عما دار وكلّهم

ينظر الى محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وكلّ يقول شيئاً .

### رعي الغنم وأثره في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

على الرغم من أنّ أبي طالب كان معدوداً من زعماء قريش وكبارها إلا أنّ أمواله لم تكن تقي ب حاجته في إقامة إودع عائلته الكبيرة، وسدّ متطلباتها، وما ان بلغ محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) مرحلة الفتوة والشباب، حتى أحبّ أن يتخذ لنفسه عملاً يخفف به عن كاهل عمه والآن لمنظر ماذا ينتخب لنفسه من عمل ينسجم مع روحّيّته ويوفق ميله؟

إن الله تبارك وتعالى كان قد قدر لمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكوننبياً للإنسانية

ص: 21

---

1 - مقتبس من سيرة ابن هشام : ج 1 ، ص 181 ، بحار الأنوار: ج 15 ، ص 193 - 204 ، اعلام الورى : ص 26 .

جماعه، ويسلّم زمام القيادة التي تستلزم إمكانيات روحية ونفسية هائلة، خاصة وأنه سيواجه ذلك الركام الضخم من العقائد الباطلة وال تعاليد الخطأه التي كانت تحكم في عقول الناس وسلوكهم ولا بد أنه سيواجه لذلك مقاومة شديدة من أولئك الذين وجدوا آباءهم على ملة وهم على آثارهم مقتدون لهذا كله فقد ألهم الله تعالى أن يختار لنفسه الرعي مهنة وحرفه لما فيها من تحرر من ضوابط المدينة وجداول أهلها وفسوقيهم وانغماسهم في شهوات الدنيا من جهة ولأنها من جهة أخرى توفر له فرصة مناسبة للتفكير والتأمل في مظاهر الطبيعة الحرة التي يعيشها وجهاً لوجه في الصحراء ولاشك أن لكل هذا تأثيره الكبير فيما يستعد له محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في المستقبل.

وهكذا بدأ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يرعى غنم أهله وغنم الآخرين في أطراف مكة [\(1\)](#) وقد ظهرت في هذه المرحلة من حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) مظاهر أمانته وحرصه على أموال الآخرين وعدم تطاوله على ماتحت يده من الغنم وأصوافها وألبانها حتى أنه اشتهر بين أهل مكة بـ [\(محمد الأمين\)\(2\)](#).

### عَقْدَهُ وَطَهَارَةُ نَفْسِهِ وَتَعَالَيْهِ عَنِ الْمَغْرِيَاتِ

حيثما تبدأ الغرائز والقوى عند الإنسان بالتفتح إثر مرحلة البلوغ، يكون الطفل قد تخطى مرحلة الطفولة ودخل مرحلة هامة وخطيره من مراحل حياة الإنسان ألا وهي مرحلة المراهقة التي تميز بتهيج الغرائز عند الشاب وفوارتها والبحث عن اشباعها، وفي هذه المرحلة الحساسة بالذات يكون الشاب معرضاً للانحراف الأخلاقي، والتلوّث، وارتكاب الخطيئة والانزلاق في الشهوات واذا لم يكن هناك من مراقب ومربي يأخذ بيده هذا

ص: 22

1- سيرة ابن هشام : ج 1، ص 183 - 167

2- سيرة ابن هشام : ج 1، ص 183 - 167

الشاب ويحميه عن السقوط في الرذيلة أو إن لم يسع الشاب نفسه في حفظ نفسه عن اللهو والعبث وتهذيب غرائزه والسموّ بها عن عالم المغريات، إن لم يحدث هذا أو ذاك فلاشك أنه سوف ينحدر إلى وادي الشقاء السحيق الذي قد لا يمكنه أن يرى للسعادة لوناً بعده و محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان يعيش في بيئه منحرفة قد اتخذت اللهو واللعب

(والعبث شعاراً لها وقد غيرت الرذائل الخلقية والمأثم سماتها وآفاته واستهوى الجنس ومغرياته شبابها بل وحتى كهولها وشبيها إلى الحد الذي كانت ترقع معه بعض الأعلام البيض (بل السود في حقيقتها) فوق بعض البيوت الداعرة معلنة وبكلّ وقارحة وصلف عن وجود بغي من الساقطات تلبي شهوات أولئك الساقطين، نعم إنَّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان بلغ مرحلة شبابه في مثل هذا المجتمع المنحط الفاسد ورغم أنه لم يتزوج قبل الخامسة والعشرين من عمره إلا أنه لم يتأثر بما حوله أبداً ولم تصدر عنه خطيئة أو عمل مشين مهما كان صغيراً، بل إن الجميع أحباء كانوا أو أعداء كانوا يشهدون له على أنه مثال الكمال والفضيلة والأخلاق .

ويتضح هذا الأمر بكل جلاء في الأشعار التي أنشدت بمناسبة زواجه من خديجة والتي كان منشدوها يذكرون فيها جملة من صفات محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكمالاته .

فلنستمع إلى هذا الشاعر حيث يقول :

أُخديجة نلت العلى بين الورى وفخرت فيه جملة الثقلان

أعني محمداً الذي لا مثله ولد النساء في سائر الأزمان

فله المكارم والمعالي والجبا ماناحت الأطiar في الأغchan (1)

ص: 23

---

1 - بحار الأنوار : ج 16، ص 74 .

وهذا شاعر آخر يقف خاشعاً في محراب فضائل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

فيقول:

لو أن يوازن أَحْمَدُ بِالْخَلْقِ كَلَّهُمْ رَجْحٌ

ولقد بدا من فضله لقريش امر قد وضح [\(1\)](#)

ص: 24

---

. 1 - 1 - بحار الأنوار: ج 16، ص 75

الزواج الاول لمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

ص: 25

دور المراهقة، هو دور تفتعّل الغرائز ويزداد القوى الجنسية عند الأفراد وحينما يصل الفتى أو الفتاة إلى هذه المرحلة يحسّنون في أحماقهما بحاجة كلّ منهما إلى الجنس الآخر، وإذا لم يلبّيا هذه الحاجة الملحة ويشكلا بيت الزوجية، فإن سعير ذلك الإحساس سوف يستدّ ويشتدّ حتى يفسد عليهما سعادتهما ويحرّمهمما من لذّة الطمأنينة والهدوء.

ومن هنا كانت نظرة الإسلام الواقعية إلى هذا الموضوع فهو يرى ضرورة تلبية هذه الغريزة الإنسانية ولكن بالشكل الصحيح المنظم كي لا يقع المجتمع فريسة للطغيان الجنسي.

لهذا فإن الإسلام يوصي بالزواج المبكر، ويدعو الناس إلى الاعتماد على الله تعالى وعدم الخوف من الفقر وتكليف الأسرة في المستقبل.

فيقول تعالى (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءٍ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ) (١).

ولكتنا نجد في بعض الحالات أنّ الحالة المعيشية لبعض الأفراد لا تمكّنهم من تهيئـة الشـرائط الأولى للزـواج ولا شك أنه في مثل هذه الحالة لابدّ من السعي والعمل لتهيئة الظروف الـلـازمة والمسـاعدة للزـواج وحتى تحـين تلك السـاعة لابدّ للإنسـان من أن يتـكل على تـقوـاه ويعتمـد على عـفـته

ص: 26

وهنا تقول الآية الكريمة:

(وَلَيْسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [\(1\)](#).

كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره الشريف إلا أنه كان يعيش ظروفًا صعبة لم تكن تسمح له بالإقدام على الزواج لذا بقي متضررًا توفر الإمكانيات اللازمة وتهيئة شرائط ومستلزمات الحياة الزوجية [\(2\)](#).

### اقتراح خديجة (سلام الله عليها)

كانت خديجة (سلام الله عليها) امرأة ثرية ذات شرف ومنزلة، وكانت تستأجر الرجال ليتجروا لها في أموالها مقابل مقدار من المال يجعله لهم.

فلما بلغها عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه التي كانت حديث الناس في نواديهم ومجالسهم بعثت إليه، وعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام ويتجربه مع غلام لها يقال له ميسرة، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فقبل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا العرض عليه بذلك يستطيع أن يساعد عمّه أبي طالب

الذي كان بلغ به الكبر واشتد عليه الزمان مع كثرة في العيال وقلة في المال [\(3\)](#).

### من هي خديجة؟

هي خديجة بنت خويلد وكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة ومن أوفر أنها كانت قد بلغت الأربعين من عمرها، فقد تقدم أهل مكة غنى، ومع طلب يدها العديد من كبار قريش، نظرًا لشرفها ونسبها وأموالها، إلا أن خديجة (سلام الله عليها) ردت كل أولئك لأنها كانت تعتقد أنهم إنما تقدّموا طمعًا في مالها ولأنهم ليسوا أكفاء لها [\(4\)](#).

ص: 27

1 - سورة النور : الآية 33.

2 - أعيان الشيعة : ج 2، ص 8 السيرة الحلبية : ج 1، ص 152.

3 - سيرة ابن هشام : ج 1، ص 188، بحار الأنوار : ج 16، ص 22.

4 - بحار الأنوار: ج 16، ص 12 تاريخ الطبرى : ج 3، ص 1127 .

في الوقت الذي كانت فيه قافلة قريش التجارية تتهيأ للسفر الى الشام كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد هيأ نفسه هو الآخر لهذه الرحلة وقد استدعت خديجة غلامها ميسرة وأمرته أن يلازم محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقوم على خدمته.

ونحن وإن كنّا لا نستطيع أن نأتي على كل تفصيات هذه الرحلة وما انطوت عليه من أمور إلّا أننا نستطيع أن نقول باختصار: إنّ هذه الرحلة كان عميمة الخير والبركة من جوانب عديدة.

فهي أولاً قد درّت رحًا وفي رأى على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وخدیجة عليها السلام، وثانيةً أنها أظهرت شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بصورة أجلٍ عند زملائه السفر من قريش، أضف إلى ذلك لقاء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع الراهب المسيحي [\(1\)](#) الذي تبأ بما يكون له من شأن عظيم شأن عظيم حسب علامات وجدها فيه وأخيرًا فقد كانت هذه المرحلة إحدى مقدمات الزواج الميمون، زواج محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وخدیجة عليها السلام وبعد مدة عزّمت القافلة على الرّجوع وأشرف الرحلة على الانتهاء وباع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واشتري ما أراد، ثم قفل راجعًا إلى مكة، فلما قدموا إليها تحدث ميسرة إلى خديجة عليها السلام عن رحلتهم واصفًا ربحهم الكبير والبركة التي غمرتهم، وشرع يروي لها عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما ظهر على يديه من الكرامات، وما صاحبه من العجائب وما سمعه من قول الراهب عنه [\(2\)](#).

ولمّا سمعت خديجة عليها السلام كل هذا من ميسرة مع ما كانت تعرفه فضله وبنله، وما كان من أقوال أحد علماء اليهود في شخصية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلو شأنه وتزوّجه من خير نساء قريش - أي خديجة عليها السلام - كل هذه الأمور طبعت حب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قلب خديجة

ص: 28

1-1 - سيرة ابن هشام : ج 1 ، ص 188 ، وهذا الراهب غير الراهب بحيري الذي التقى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في رحلته الأولى حينما كان غلامًا مع عمّه أبي طالب (عليه السلام) .

2-2 - الكامل لابن الأثير : ج 2 ، ص 39 ط بيروت .

عليها السلام، وتمتنّت من أعماقها أن يتسمى لها الزواج من محمّد (صلى الله عليه وآلّه وسلام) الذي صار في نظرها الزوج المثالي الذي كانت تطلبه وتبحث عنه، وقد زاد من شوّقها لهذا الأمر أنها كانت قد ذكرت لابن عمّها ورقة بن نوفل - وكان نصراً قد تتبع الكتب الأولى - ما قاله لها غلامها ميسرة من حديث الراهن ومن الطلاق الملازم له ومن الأمور الأخرى، عندها قال ورقة :

لئن كان هذا حقاً ياخديحة، إن محمداً لنبي هذه الأمة [\(1\)](#).

ولكن كيف تصل إلى هذه الأمانة؟ إذ ليس من السهل أن تصارحه بذلك مع ماهي عليه من الشخصية المتينة والمكانة المحترمة بين نساء قريش [\(2\)](#).

## اقتراح الزواج

بعثت خديجة عليها السلام صديقتها وصاحبة سرها «فقيسية بنت منية» إلى محمّد (صلى الله عليه وآلّه وسلام) لتبحث معه حول موضوع الزواج وتنتظر رأيه في ذلك، وذهبت فقيسية إلى محمّد (صلى الله عليه وآلّه وسلام) وقالت له:

ما يمنعك أن تتزوج؟ فأجابها محمّد (صلى الله عليه وآلّه وسلام) وليس عندي ما أتزوج به.

قالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟

قال محمّد (صلى الله عليه وآلّه وسلام) من هي؟

أجبت فقيسية: خديجة.

قال محمّد (صلى الله عليه وآلّه وسلام): كيف لي بذلك، وهي التي قد ردت أشراف قريش وأغنياءها.

قالت فقيسية: على ذلك وسأقوم به [\(3\)](#).

ص: 29

1-1 - سيرة ابن هشام : ج 1، ص 203، بحار الأنوار : ج 16، ص 20 - 21 .

2-2 - ذهب ابن اسحاق كما يذكر ذلك ابن هشام في السيرة النبوية الى أن خديجة عليها السلام عرضت نفسها على النبي (صلى الله عليه وآلّه وسلام ) بدون وساطة، ويذهب الآخرون الى أن ذلك قد حصل بوساطة تمّت على يد أخت خديجة أو صديقتها فقيسية.

3-3 - السيرة الحلبيّة : ج 1، ص 152 حياة محمد : ص 122، أعيان الشيعة : ج 2 ص 8.

وما ان اطمأن محمد(صلى الله عليه وآلہ وسلم) الى أن خديجة ترحب في الزواج منه حتى ذكر ذلك لأعمامه الذين فرحوا وباركوا بدورهم هذا الزواج، ونهضوا معه الى بيت خديجة(سلام الله عليها) حيث تمت الخطبة، واحتفل بعدها بالزواج<sup>(1)</sup>.

وقد قضى محمد(صلى الله عليه وآلہ وسلم) خمسة وعشرين سنة مع خديجة(سلام الله عليها) كانت من أفضل أيام حياته الزوجية، لم تكن خديجة عليها السلام الزوجة الصالحة فقط بل أنها كانت فوق ذلك خير ناصر ومعين لمحمد(صلى الله عليه وآلہ وسلم) في حياته قبل الرسالة وبعدها ولقد كانت أول من آمن بدعوته من النساء ووضعت جميع ما تملك تحت تصرفه لينفقها في سبيل الإسلام<sup>(2)</sup>.

وقد رزقه الله من هذا الزواج ستة أولاد، منهم ابنان هما، القاسم والطاهر اللذان ماتا في مكة قبل البعثة وهمما طفلا.

وأربعة بنات هن زقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة (سلام الله عليها) التي كانت أفضلهن<sup>(3)</sup>.

ونظراً لما بذلته خديجة(سلام الله عليها) من تضحيات وما اتسمت به من وفاء وفاء لمحمد(صلى الله عليه وآلہ وسلم) ورسالته فقد كانت أثيرية عنده يكن لها الحب العميق لا في حياتها وحسب بل وحتى بعد مماتها إذ ما كان يتذكرها إلا وتنظره عليه علامات الحزن والتأثر<sup>(4)</sup> وقد كان يبكي أحياناً لفراقها .

وعلى أي حال فقد تزوج محمد (صلى الله عليه وآلہ وسلم) خديجة عليها السلام وعمرها أربعون سنة وانتقلت الى جوار ربيها في الخامسة والستين أي بعد بعثة النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بعشر سنين ولم يتزوج النبي محمد(صلى الله عليه وآلہ وسلم) غيرها مدة حياتها إكراماً وإعظاماً لها.

رحم الله خديجة عليها السلام فقد كانت مثالاً للزوجة المخلصة الأمينة المؤمنة .

ص: 30

1-1 - بحار الأنوار: ج 16، ص 56 - 73 .

2-2 - بحار الأنوار: ج 16، ص 10 - 71، أعيان الشيعة : ج 2، ص 108 .

3-3 - بحار الأنوار: ج 16، ص 3، اعلام الورى : ص 146، أعيان الشيعة : ج 2 ص 18 .

4-4 - بحار الأنوار: ج 16، ص 13 .

تعدد زوجات النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

على واقعه

ص: 31

## نماذج من ذئب المسيحيين (المستشرقين)

في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي بدأ كتاب المسيحية الحاقدون شن هجمة شرسه، من خلال الكتب المملوءة بالأكاذيب والدّس والافتراء مستهدفة النيل من الإسلام ومفاهيمه وتاريخه بشكل عام، وتشويه الصورة الحقيقة لشخصية رسول الإسلام العظيم، ليضللوا الناس ويصرفوهم عن الاهتمام بالإسلام والتوجّه إليه .

والمصادر الأولية التي كان يعتمد عليها هؤلاء الكتاب هي بعض التأليف الحاقدة التي ألفت في القرون الوسطى المظلمة في أوروبا من قبل بعض المؤلفين المسيحيين الذين أعمت العصبية بصائرهم، فحالت بينهم وبين إدراك الحقائق؛ ويمكنا بهذا الصدد أن نشير إلى كتاب (ردود على دين محمد) الذي صدر في القرن الخامس عشر للمدعو «جان آندريه مور» (J.A. Maure) وهو يعتبر مرجعاً هاماً لأكثر من جاء بعده من الكتاب المسيحيين في كتاباتهم المعادية للإسلام، نظراً لجهل هؤلاء الكتاب باللغة العربية من جهة، وانعدام المصادر الإسلامية في مكتباتهم من جهة أخرى.

وكانت النتيجة أن قناع هؤلاء باستنساخ الكتاب المذكور كمصدر أصيل للتعرف على الإسلام وتصوراته ومفاهيمه . نعم، إن هؤلاء الكتاب الذين نجد «كتابهم المقدس» ينسب بصرامة جريمة الزنا إلى بعض الأنبياء(عليهم السلام) بارتکابه<sup>(1)</sup> لا- يمكن أن تتوقع منهم حينما يتحدثون عن نبينا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن يكتبوا ما شاءت لهم عصيّتهم التي أشربت في نفوسهم وإذا بهم يكتبون أن محمدًا كان رجلاً مهووساً شهوانياً، وأنه في الوقت الذي كان يمنع أتباعه من اتخاذ أكثر من أربعة زوجات دائمات، كان يتخد لنفسه أكثر من هذا العدد بكثير<sup>(2)</sup>.

لقد صرّرت لهم أوهامهم الفاسدة أنهم بتلقيق هذه الأكاذيب يستطيعون تشويه صورةنبي الإسلام (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في ذهن القاريء المسيحي الذي لا يعرف شيئاً عن الإسلام وأنهم بهذا العمل يحولون بين الإسلام وبين تقدمه السريع وانتشاره الواسع، ولكن محاولتهم هذه باعت بالفشل الذريع كسائر محاولاتهم التي ثبت زيفها وعدم تأثيرها .

ولم يطرّل الوقت، فقد ظهر كتاب وعلماء مسيحيون منصفون جعلوا البحث العلمي الموضوعي بعيداً عن التعصب مهما أمكن شعاراً لهم ومنهجاً، وانبروا للذبّ عن ساحةنبي الإسلام(صلى الله عليه وآلـه وسلم) والدفاع عن شخصيّته العظيمة، والاعتذار في الوقت نفسه عمّا تعرّض له النبي محمد(صلى الله عليه وآلـه وسلم) والقرآن الكريم من جملات ظالمة شنتها أقلام قومهم المتعصبة .

إننا في الوقت الذي لا نشك فيه أن مثل هذه الأساطير والأكاذيب ليس لها مجال في مثل مجتمعنا الإسلامي الذي يؤمن ويعتقد بعصمة

ص: 33

- 
- 1 - الكتاب الثاني لصومئيل : الاصحاح 11
  - 2 - حياة محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : ص 315.

الأنبياء (عليهم السلام) إلا أننا نجد من الضروري بيان الحقيقة ساطعة وبكل وضوح لأولئك الذين لا يتفقون معنا في هذه العقيدة ولا يتلقون مع نظرتنا في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

## حكم التاريخ وقضاؤه

لقد ذكر محققوا التاريخ المنصفون من المسلمين والسيحيين على حد سواء أن الزواج المتعدد للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن اتباعاً للهوى وكيف يمكن أن يتصور ذلك في حقه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الذي قد تزوج أول مرة حينما كان في الخامسة والعشرين من عمره، أي في عنوان شبابه وفي المرحلة التي يتعلّق فيها حلم الشاب بزوجة شابة جميلة، تزوج بالسيدة خديجة بنت خويلد التي كان لها من العمر حينذاك أربعون سنة ...؟

ومع هذا فإننا نرى النبي محمدأ (صلى الله عليه وآله وسلم) يعيش مع هذه السيدة الجليلة قرابة خمس وعشرين سنة في سعادة تامة وهناء لا يشوبه اختلاف، وأنه في كل هذه المدة لم يتزوج من غيرها مع كثرة الراغبين فيه من بنات مكة وفتياتها اللائي كن يفتخرون ويباهين بالزواج من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الصادق الأمين لو تنسى لهن ذلك.

إذن فلما شئت في أن محة مهداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لو كان شخصاً قد تملّكته الشهوة الجنسية لما امتنع كل هذه المدة الطويلة عن التزوج من فتاة جميلة شابة تقاريه في السن وتدعانيه في الفتولة والشباب

## استجواب للمستشكلين

إذا أراد أحد أن يسأل هؤلاء ما هو السبب الذي دعى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في قمة شبابه ان يتزوج بسيدة قد تخطت سنّ الشباب

وتجاوزت الأربعين من دون أن يتزوج من غيرها طيلة حياتها، ولكنّه في السنين العشرة الأخيرة من حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث كانت الشيوخوخة من جهة ومشاكل الدولة الإسلامية الفتية داخلياً وخارجياً من جهة أخرى، لا تسمحان له بفرصة التفكير في النساء عادة ... لكنه مع ذلك يقدم على التزوج من نساء عديدات؟

اليس في حفظ النساء الاراملات ورعايتها أيتامهن ترويض كبير للنفس؟

أم هل يتفق العيش مع نساء عديدات، لكل منهان أخلاق وصفات وأذواق خاصة... مع الهوى واللذة والتمتع؟

هذه كلها أسئلة نوجهها إلى هؤلاء المفترين ، ولكنها تبقى حائرة دون جواب. ولابد لهم أخيراً من أن يعترفوا بأنّ محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن أبداً من أولئك الذين تستهويهم الشهوات، وتستولي عليهم اللذائذ الجنسية وأنهم إنما اتهموه بكل ذلك، عناداً منهم وظلماً وتعصباً لا غير.

وأخيراً لنستشهد بكلمة لأحد منصفي المستشرين وهو «جان ديون بورت» حيث يقول:

«هل من الممكن الرجل تستهويه الشهوة، وفي محيط وبيئة كان تعدد الزوجات فيه عملاً عادياً وطبيعياً أن يقنع بزوجة واحدة لمدة خمس وعشرين سنة [\(1\)](#)؟

تعدد أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختار النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاة خديجة عليها السلام عدّة زوجات، ومن جملتهن: سودة، عائشة غزية، حفصة، أم حبيبة، أم سلمة، زينب بنت

ص: 35

---

1 - كتاب «عذر تقصير به پیشگاه محمد و قرآن» فارسي ص 35

وهنا لابد أن نبحث في الظروف التي كانت توجب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتزوج من كل هذه النساء، ويمكننا أن نقول أن تزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان لعدة غايات وأهداف هي:

1 - لأجل رعاية اليتامي والحفظ عليهم من مكاره الدهر، بعد أن فقدوا كفiliهم وحامليهم، خاصة وأن بعض تلك النساء كن في خطر أن تستردهن قبائلهن بعد فقد أزواجهن، وكان هذا العمل يحمل في ثناياه فتن الكفر والارتداد الذي قد تتعرض له، كما في شأن سودة التي فقدت زوجها بعد الهجرة إلى الحبشة وبقيت بدون راع وكفيل، فتزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ كان قد فقد خديجة (رض) حينذاك [\(2\)](#). وكذلك الأمر في شأن زينب بنت خزيمة، فقد كانت أرملة قد فقدت زوجها وأشرف على الفقر مع أنها كانت أمراً معروفة بالكرم وتعاهد الفقراء حتى عرفت بـ - (أم المساكين) لأجل إنقاذهما من محنتها فقد تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتوفيت في حياته [\(3\)](#).

وهكذا كان شأن «أم سلمة» فقد كانت امرأة محسنة وصاحبة أيتام وعلى جانب كبير من الإيمان والورع فتزوجها (صلى الله عليه وآله وسلم) لأجل ذلك [\(4\)](#).

2 - لأجل القضاء على بدع العجahlية ومحوها ويتجلّى ذلك في قضية زينب بنت جحش ابنة عمّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي كان زيد بن حارثة متبنّى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تزوج بها، وكان هذا الزواج قد تم باقتراح وطلب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكي يكون مثلاً ودليلًا حيًّا على إلغاء الإسلام للطبقية

ص: 36

1-1 - بحار الأنوار : ج 22 ص 200 - 204 .

2-2 - حياة محمد صلى الله عليه وآلـه وسلـم للدكتور محمد حسين هيكل ص 319.

3-3 - حياة محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلـم) : ص 320، بحار الأنوار: ج 22 ص 203.

4-4 - حياة محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلـم) : ص 321 .

والتعالي الأسري، ذلك أن زينب كانت إحدى حفيدات عبد المطلب كبير قريش وزعيمها، أما زيد فقد كان عبداً مملوكاً أعتقه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم تبناه من بعد .

وكانت زينب باعتبار شخصيتها ونسبها تعالى على زيد وتفتخر عليه مما جعل حياتها الزوجية مشوبة بالمرارة وبعيدة عن السعادة المطلوبة من الحياة الزوجية .

ولم تشر نصائح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم بادامة زواجهما ودفع الاختلاف من بينهما مما أدى في النهاية الى انفصال عرى الزوجية والطلاق [\(1\)](#).

وبعد أن طلق زيد زينب . عقد عليها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك بأمر إلهي ودستور رباني للقضاء على عادة جاهلية كانت سارية المفعول في المجتمع آنذاك وكان لها آثارها السيئة في أوساطهم .

ذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يعتبرون الولد الذي يتبنّونه ولداً واقعياً لهم يجري عليه ما يجري على الأولاد الصليبيين للرجل، لذا فإنهم لم يكونوا يتزوجون من نساء الولد المتبنى كما لو كانت زوجة ابنه الحقيقي

الصلبي.

ولنستمع إلى الآية الكريمة التي تذكر هذه القضية وملابساتها (فَلَمَّا قَضَى رَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَأَ رَوْجُنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَرْوَاحِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَأَ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً) [\(2\)](#)

### الاتهامات الباطلة :

لقد ابتلى بعض الكتاب المسيحيين بالتعصب الأعمى ولم يستطعوا أن يحرروا عقولهم مما دعاهم أن يلصقوا التهم المزيفة الكاذبة ويخترعوا

ص: 37

1- بحار الأنوار : ج 22، ص 214 - 218 .

2- الأحزاب : 37 .

من عند يأتهم بعض الأساطير، فنجد هم يصورون قضية زواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من زينب حسب ما يشتهون ويعتبرونها قصة غرامية إذ أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حسب افتائهم كان عاشقاً لزينب وبهوراً بجمالها الساحر الرائع وأنه كان قد أبدى ذلك مما أدى إلى أن يطلقها زيد .

ولا- يمكننا اذا أردنا أن نكون موضوعين إلا أن نصف هذا الكلام بأنه باطل من الأساس وأنه يخالف جميع الشواهد العقلية والتاريخية المعتبرة إذ أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا كان أسيراً لهواه الى هذا الحد ويشغل فكره بسحر الفاتنات وجمالهن، واذا كان جمال زينب بلغ هذه الدرجة الكبيرة التي جعلت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مفتوناً بها فما الذي كان قد منع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الزواج بها حينما كانت فتاة باكراً تتمتع بنظارة ومعنى خاص ؟ أهل يمكن أن يقال أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يعرف عنا ذلك الجمال؟ كيف وهي لم تكن بعيدة عنه فهي ابنة عمته وقربيته ؟ اللهم إنه لا يمكن أن يتقول هذه الأقوال إلا من أعمى التعصب بصره وبصيرته .

3- زواج لأجل فك الأسراء وتحرير الأرقاء وذلك في مثل زواجه بـ(جويرية) التي كانت من قبيلة (المصطلق) المشهورة، وكانوا قد أعلنا الحرب على المسلمين، وبعد معركة جرت بينهما كان الغلب فيها لجيش المسلمين ، تمّ أسر أعداد كبيرة من هذه القبيلة، وكان من بين الأسراء (جويرية) بنت الحارث كبير القبيلة، ورئيسها، فأطلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سراحها إكراماً لها وتزوج بها، وحينما علم المسلمون بأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صار صهراً لهؤلاء الأسراء الذين في أيديهم بادروا بإطلاق سراح هؤلاء الأسرى إكراماً لزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من جويرية ... يقول ابن هشام (لقد تم تحرير مائة من بنى المصطلق ببركة هذا الزواج)[\(1\)](#).

ص: 38

---

1-1 - سيرة ابن هشام : ج 3، ص 295 .

4 - زواج من أجل الارتباط بالقبائل العربية الكبيرة واحتواء بعض أفرادها، وجلب حمايتهم، والحيلولة دون خزيتهم وتلقي الناس عليه وعلى الدين الجديد ومن هذا القبيل كان زواجه بعائشة، حفصة، أم حبيبة، صفية، وميمونة.

أما (أم حبيبة) فانها بنت أبي سفيان الذي كان وأسرته من أعدى أعداء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته في الجاهلية والإسلام وكان زوجها مسلماً قد هاجر إلى الحبشة إلا أنه ارتد وصار نصرانياً ثم أدركته المنية، مما اضطرباً وقلقاً بالغاً لأم حبيبة فقد كانت مسلمة لا تستطيع الالتجاء إلى أيتها وأسرتها لما تعلم من عدائهم السافر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولد عوته ولكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنقذها من حيرتها فتزوج منها لكي يكون لها راعياً وكفيلاً من جهة، ولكي يكون في ذلك جلباً واستمالة لقلوب بعض بنى أمية (قبيلة أم حبيبة) من جهة ثانية [\(1\)](#).

وكذلك الأمر في (صفية) بنت (حي بن أخطب) رئيس قبيلة بني النضير التي نقضت العهد مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مما أدى إلى معركة بينها وبين المسلمين انتهت بغلبة المسلمين وقتل الكثير من اليهود وأسر الباقيين وكان من جملة المقتولين (حي بن أخطب) والد (صفية) وقد أرتأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الزواج من صافية نظراً إلى مكانتها وشخصيتها بين افراد قبيلتها مما أدى إلى ايجاد نوع من الصلة بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين أكبر القبائل اليهودية عدداً أو أهمها خطراً [\(2\)](#).

وأمّا ميمونة فقد كانت هي الأخرى من قبيلة «بني مخزوم» العربية

ص: 39

---

1 - الاصابة والاستيعاب : ص 305، موسوعة آل النبي ص 369 - 374، سيرة ابن هشام : ج 1 ، ص 123 اعلام الورى : ص 142 .

2 - موسوعة آل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ص 345، اعلام الورى : ص 142 .

الشهيرة بين القبائل العربية وكان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد ترقَّج بها عام سبعة للهجرة<sup>(1)</sup>.

إذن يتضح لنا من كل ذلك أن نساء النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ماعدا عائشة كنّ من الأرملات وأنّ أكثرهن قد تخطيّن سن الشباب والنصارة والفتوة وفي هذا أكبر دليل على أن تعدد أزواج النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان في واقعه لأجل مصالح وأهداف مقدسة، وغایات نبيلة، مما لا يدع مجالاً لإلصاق تهم التهور الجنسي، واستعار الشهوة بشخصية أعظم رجل عرفته البشرية وهو الرسول الكريم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

ص: 40

---

1 - بحار الأنوار: ج 22، ص 203، سيرة ابن هشام : ج 4 و 4، ص 372.

شخصية الرسول الاعظم

محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلـم) قبل البعثة

ص: 41

يعتقد علماء النفس أن المجتمع (البيئة، المحيط) هو الذي يكون ويوجد أساس الشخصية في الأفراد ويولد لديهم طريقة تفكيرهم، ونوعية تصوراتهم، وأن غريزة (التوافق والمماشاة) تجرهم إلى أن يقتفيوا أثر المجتمع في أفكاره وسلوكيه.

وإن كان البعض من هؤلاء قد أفرط في هذه النظرية واعتبرها قاعدة كلية عامة وغير قابلة للاستثناء ففسروا جميع الظواهر الاجتماعية على أساسها، إلا أننا لا يمكننا إلا أن نسلم بأن للمجتمع تأثيراً في روحية الأفراد ونمط تفكيرهم لهذا نجد أن مجتمع الفضيلة والتقوى يربّي ويوجد النماذج الصالحة المتقية كما أن المجتمع الفاسد المنحرف يجر أفراده إلى هاوية الفساد والضلالة، ولهذا ندرك أن الذين يستطيعون أن يشقوا طريقهم بعيداً عن خط سير المجتمع المنحرف ومن دون أن يتأثروا بمقاصده وأهوائه يعتبرون أناساً غير عاديين .

### **مجتمع الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام**

كان العالم كله والجزيرة العربية بشكل خاص غارقاً في بحار الجهل والفوضى وكانت عامة العرب تحترق بنار الفساد والخرافات، وسحب الجهل السوداء قد حولت آفاق الحياة العربية إلى ظلام حالك، وجعلت أيامهم قاسية مريمة، يغمرها الشقاء والبؤس والاضطراب فما أكثر الأموال التي راحت من جراء غارات النهب والسلب وما أكثر الدماء التي أريقت

ظلمًا وعدوانًا.

وكانت الأوهام والخيالات الفاسدة والامتيازات الطبقية قد سيطرت على المجتمع وتحكمت فيه وأحکمت قبضتها عليه، والشيء الوحيد الذي لم يكن له وجود في مجتمعهم هو القانون والعدالة.

الأغنياء القساة الجفاة يمتصون دماء الضعفاء ويأكلون مال اليتامي ظلماً، ويستثمرون الطبقة الفقيرة الكادحة أبشع استثمار، ويتهونون بعد ذلك كله في عالم التكبر والخيلاء والعظمة، ويتنقلون في أحصان الذهب والفضة، ويتعتمون بحياة البذخ واللهو والإسراف على حساب أولئك المحرمون .

وكان نهجهم في المعاملة والتجارة باطلًا وفاسدًا إلى حد كبير، وكان كل من الزوجين، مسؤولاً عن وفاء دين صاحبه فإذا عجزت المرأة عن دفع دينها وعجز زوجها عن أدائه عنها حبس الدائن زوجها حتى يفيه حقه [\(1\)](#).

ويبدلاً من أن يحصلوا على كمالهم بأنفسهم ويتخذوا من تحصيل العلوم مفخرة لهم، كانوا يتكلون على أمجاد آبائهم وأسرهم وقبائلهم، وقد يصل بهم الأمر إذا أرادوا الفخر بكثرة عددهم أن يذهبوا إلى المقابر لاحصاء قبور موتاهم لتكون شهادة لإثبات على أنهم أكثر عدداً من قبيلة أخرى منافسة لهم.

كانت معاقرة الخمرة وارتكاب الزنا وممارسة الأعمال الشهوانية، وسفك الدماء البريئة، قد أصبحت من أعمالهم اليومية المألوفة، ولا يشعرون حيالها بأي نوع من الحياء والخجل .

فهذا (أمرؤ القيس) الشاعر العربي المشهور يذكر في شعره (من معلماته الشهيره : قلنا نبك .....). من دون تردد أو خجل غرامياته الفاضحة مع ابنة عميه (عنزة) وعشيقه لها، واتصالاته بها واحتلائه معها. والأعجب من ذلك أنهم عدّوا شعره هذا من النماذج الرفيعة في الأدب العربي فاستحق

ص: 43

---

1 - دائرة المعارف لغريفيد وجدي : ج 6، ص 250.

بذلك أن يعلق على جدران الكعبة الشريفة [\(1\)](#).

هذه صورة مختصرة عن الحالة العامة - خلقياً وسلوكياً - في ذلك المجتمع الذي شعّ نور الإسلام في آفاقه المظلمة. ومن البديهي أن الإنسان الذي لا يتلوّن بصبغة هذه البيئة ولا يتلوّن بأنجاسها، يعتبر ذا شخصية ملكوتية متميزة، وأنه يستحق بذلك قيادة الإنسانية وخلاصها من مشاكلها وأوضاعها البائسة.

### الأئمّاء قادة المجتمعات لا أتباعها

في الوقت الذي كان عامة الناس يتوجهون صوب الأصنام، كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لم يتلق درساً من أحد يتوجه وحده صوب غار «حراء» وهناك يقف خاشعاً متضرعاً وهو يتأمل في الكون وما أبدع فيه الخالق عز وجل من رواعٍ تتجلى فيها عظمته وقدرته.

كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أحاطه الله تعالى برعايته وعنايته قد ميّز طريق الحق المستقيم ومشى فيه بكل ثبات واطمئنان ومن دون تردّد واضطراب وقد بدأ خطواته الأولى في وجه أفكار قومه وعاداتهم الخاطئة وتقاليدهم البالية.

إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن رافضاً لعبادة الأصنام - ولو للحظة واحدة من عمره الشريف - فحسب وإنما كان لا يطيق حتى سماع أسماءها كما مرّ عليكم في السابق وذلك حينما كان في الثانية عشرة من عمره المبارك والتى ببحيرة الراہب فأقسم عليه هذا بحق اللات والعزى أن يجيئه على أسئلته، فأجابه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غاصباً لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت كبغضهما شيئاً قط [\(2\)](#).

وقد كانت عظمته (صلى الله عليه وآله وسلم) وطهارته وعفته حديث الناس في المجامع والمجالس الخاصة منها وال العامة. كما منحه صدقه وأمانته وخلاصه لقب

ص: 44

1- شرح المعلقات السبع للزوّزني : ص 3

2- اعلام الورى : ص 18 .

(الأمين) الذي لازمه واشتهر به، ولقد كانت هذه الصفة المحببة هي التي دعت خديجة (رضي الله عنها) أن تختاره ليتجر بأموالها.

ان أخلاق محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) وسلوكه وتعامله مع الناس بلغت حداً من الرفعة والسمو بحيث استطاع بها أن يدخل قلوب الناس ويجذبهم إليه. فعن عمار بن ياسر أنه قال: كنت راعياً مع محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) قبل البعثة فاقتربت عليه يوماً أن نذهب بأغنامنا في اليوم التالي إلى مرعى «فح» فوجدت محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) قد سبقني إلى المرعى إلا أنه كان من الرعي، ولما سأله لماذا تمنعها عن الرعي؟ أجاب (صلى الله عليه وآلها وسلم): «إني كنت واعدتك فكرهت أن أرعى قبلك»[\(1\)](#).

وهكذا كان محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) قد اخترط لنفسه خطأً غير خط قومه، ولم يتأثر بعادات قومه وسننهم، بل كان يبحث الخطى في طريق الكمال حتى وصل أرفع درجاته تعينه على ذلك يد الغيب التي كانت ترعاه وتحافظ عليه وتصنعه على عينها.

لهذه الأمور وغيرها كان الناس يكتون له احتراماً فائقاً، ويستعينون برأيه في كثير من المشكلات.

### حكم النبي محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) بين قريش في وضع الحجر الأسود

كان محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) في الخامسة والثلاثين من عمره الشريف حين اجتمعت قريش لبناء الكعبة وترميم بنائها السابق ولما كانت قبائل قريش المتعددة تريد اقتسام هذه الفخر ببناء الكعبة، لذا فقد جزأته وجعلت لكل قبيلة قسماً منه.

وقد بدأ الوليد بن المغيرة بالهدم وهو يقول: اللهم إنا لانريد إلا الخير ثم تابعه الناس وأعانوه. حتى انتهى الهدم بهم إلى الأساس الذي بناه

ص: 45

---

1 - بحار الأنوار: ج 16، ص 224.

ابراهيم (عليه السلام) وهنا بدأت كل قبيلة ببناء قسم من البيت حتى بلغ البناء موضع «الحجر الأسود» فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى لتفتخر بذلك على سائر القبائل، وقد اتسع الخلاف حتى أنهم استعدوا للقتال فقربت «بنو عبد الدار» جفنة مملوءة دمًا، ثم تعاقدوا هم و«بنو عدي بن كعب» على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم علامه على التصميم على القتال والموت.

وقد استمر هذا الخلاف الوحشي أربع ليال أو خمساً، ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا فقال لهم أبو أمية بن المغيرة وكان أكبر قريش سنةً و«يا عشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه» فقبلوا اقتراحه وانتظروا أول من يدخل، فكان أول داخل عليهم هو رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) هلّم إليّ ثواباً، فأتى به، فأخذ الركن (الحجر الأسود) فوضعه فيه بيده، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه أخذه ووضعه هو بيده حسماً للنزاع ثم بنى عليه [\(1\)](#).

وهكذا استطاع (صلى الله عليه وآله وسلم) بحكمته وحسن تدبيره أن يتجنب قريشاً فتنة خطيرة، كان من الممكن أن تؤدي إلى سفك دماء كثيرة وتجرّ عليهم ويلات ومصائب عظيمة.

وقد أوضحت هذه القضية بشكل جليّ الشخصية الاجتماعية العظمية للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أنها بيّنت بعض جوانب العظمة في آرائه الصائبة ونظراته الحكيمة .

وبهذا يعلم أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أهلاً وكفوأً لمقام النبوة ورفع راية الإصلاح السماوي المقدس.

ص: 46

---

1 - سيرة ابن هشام : ج 1، ص 192 - 198 ط مصر 1375 .



استطعنا في المقالات السابقة ان نتصفح بعض الأوراق والصفحات من حياة الرسول الأعظم محمد(صلى الله عليه وآلها وسلم) وقرأنا فيها لمحات ونموذجاً من حياته المليئة بأسمى معاني السمو والرقة والجلال والعظمة .

ولنبدأ الآن باستعراض أشد المراحل حساسية في حياته المقدسة.

عاش محمد(صلى الله عليه وآلها وسلم) أربعين سنة في مجتمع تحكم فيه الفوضى والقلق ولا تبدو فيه للناظر أي آثار جلية أو معالم واضحة للحضارة والتمدن وكانت هذه الحالة المضطربة مؤلمة لنفس الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) الشريفة إذ كان(صلى الله عليه وآلها وسلم) لا يرى في مجتمعه المتدهور غير ظلمات الجهل والضلال.

فإذا ذهب إلى الكعبة - بيت التوحيد ومأوى الموحدين - طالعته مناظر مؤلمة من عبادة الأصنام والاستكانة لها، بدلاً من أن يشاهد هناك- كما هو المفروض في مثل هذا المكان المقدس - علامات التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد .

وإذا ترك الكعبة وذهب ليتوغل في أوساط الناس واجهته حالات ومناظر أليمة أخرى، فأفكار قومه الفاسدة وعاداتهم السخيفية كانت تغرقه في بحر من الأسى والحزن .

وكانت آلام الفقراء وآهات المحروميين تؤلمه وتؤديه وكم كان يشتد تأثيره حينما يشاهد سقوط منزلة المرأة اجتماعياً إلى أسوأ ما يتصور من السقوط هذا بالإضافة إلى ما يشاهده من آثار القمار والخمر والقتل والجريمة ومظاهر الفساد الأخرى التي شاعت وخيمت بظللها السوداء

كان محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) يبتعد في بعض الأوقات عن ذلك المجتمع الأسود المظلم، ويلتجئ إلى غار «حراء» ليريح نفسه قليلاً ويتخلص من جوّ قومه الخانق الشقيّل وليشتغل في ذلك المكان المنعزل الهادئ بعبادة ربه ومناجاته وكان ينظر من قلله إلى آثار رحمة الله والى أنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته ... فيعتبر بذلك الآثار ويذكر بذلك الآيات ويعبد الله عبادته [\(1\)](#).

## محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) في سن الأربعين

بلغ محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) الأربعين وقد صار مهياً لأداء رسالته السماوية العالمية [\(2\)](#).

وفي أحد الأيام وبينما كان يتبعه في غار «حراء» إذ احس فجأة بنور يملأ آفاق نفسه وروحه وبحرارة عجيبة تغمر وجوده. وبينما هو وإذا بجبرئيل (عليه السلام) - ملك الوحي - يبشره بالنبوة والرسالة؛ ويقول له «إقرأ» وبقي النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) عدة لحظات مستغرقاً في حالته الروحية الملوكية ثم أجال بطرفه فيما حوله وإذا به يسمع بذلك الصوت السابق مرة ثانية ومرة ثالثة [\(3\)](#) بصورة واضحة جلية يقول له «إقرأ» .

له وهو (صلى الله عليه وآلها وسلم) يتبع مع جبرئيل (عليه السلام) ويقرأ (إقرأ باسم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ، إِقْرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنْ، عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ) [\(4\)](#).

وببدأ محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) وكأن حرارة ونشاطاً عجيبين قد غمرا وجوده كلّه وكيف لا يكون كذلك وهو الآن قد ارتبط بعالم أكبر وأعلى وأعظم ... مع

ص: 49

1-1 - بحار الأنوار : ج 18، ص 206 .

2-2 - مناقب : ج 1، ص 40 .

3-3 - مستفاد من كامل التوارييخ : ج 2، ص 48 - تاريخ الطبرى : ج 3، ص 1148، 1150 .

4-4 - سورة العلق : 1 - 5، ويعتقد كبار المفسرين أن سورة العلق هي أول سورة نزلت على النبي محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) .

الملائكة ... مع جبرئيل ... مع الملائكة الأعلى ... وهكذا استندت روحه الشريفة إلى ركن وثيق وسند عظيم.

روح

لقد رأى في نفسه (صلى الله عليه وآله وسلم) قوة النبوة، ولم يكن للقلق والاضطراب أيّ مفهوم في قاموس وجوده وكيانه ... بل كان مغموراً بالهدوء والاطمئنان.

### هل كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يمر في غار (حراء) بمرحلة دراسية و تعلمية؟

هذا السؤال قد أجاب عليه بعض المستشرقين والكتاب الغربيين بالإيجاب وقالوا : إن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يطالع هناك الانجيل والتوراة وتعليمات الأنبياء السابقين وشرائعهم، ويستغرق متاماً في كل ذلك وأنه كان يجد لذة عميقه في هذا العمل [\(1\)](#).

ومن الواضح أن معنى هذا الكلام هو أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان رجلاً قد «كون نفسه بنفسه» ، وأنه قد جاء بدين الإسلام واخترعه من نفسه بعد مطالعته في التوراة والإنجيل والشريعة السابقة.

ولكن هناك شواهد وأدلة كثيرة تفتّد هذا المدعى الباطل ونحن نشير إلى بعضها .

1 - لو كان نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخذ القرآن من التوراة والإنجيل وغيرهما، لكان يجب أن تتشابه المطالب والأفكار التي جاءت في القرآن مع ما في كتب العهدين .

هذا في الوقت الذي نجد بين القرآن وبينهما تقاوتاً شديداً واختلافاً أساسياً .

2 - إن آيات القرآن الكريم في بلاغتها وفصاحتها وكيفيّة تركيبها المحير المدهش ... جعلت كبار الأدباء والبلغاء في عصر نزول القرآن وفي العصور المتأخرة عنه يقفون أمام عظمة القرآن مدهوشين، ومعترفين بتفوّقه وإعجازه . وهذا الأمر بنفسه ولوحده يثبت أنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مرتبطاً

ص: 50

---

1 - كتاب «الاعتذار إلى محمد والقرآن» الترجمة الفارسية : ص 19.

وبصورة مباشرة بمبدأ العالم - بالله تعالى - وليس من شك في أن هذه الآيات بكلماتها وتركيبها المعجز لم تكن ليست موجودة في أي كتاب آخر ليقتبس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منه ذلك

3- إنَّ هذه الدعوى لا أساس لها، ولا تستند إلى أي مصدر يعتبر واصيل وإنما هي عبارة عن شائعة وأسطورة اخترقها آباء الكنيسة المسيحية وبعض المستشرقين الحاذفين .

4- لو كان القرآن كما يدّعون - قد ألف وكتب اعتماداً على مطالعة «العهدين» لسهل كثيراً على أولئك الذين كانوا يحاولون أن يأتوا بقرآن وآيات شبيهة بما في القرآن الكريم، الوصول إلى أهدافهم عن طريق مطالعة التوراة والإنجيل اللذين هما في متناول أيديهم ولإسقاطوا بذلك أن يرددوا تحدي القرآن بأنه لا يمكن أن يؤتى بمثله أو بسورة من مثله .

5- من المسلم به - تاريخياً - إنَّ نبي الإسلام محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أمياً وأنه لم يمارس القراءة والكتابة قبل البعثة<sup>(1)</sup>.

وعلى هذا فهل يمكن لعاقل أن يصدق بأن إنساناً لم يتلق درساً من أحد أبداً، وفي محيط بعيد عن العلم والمعرفة، وغارق في الجهل والأمية ... يستطيع أن يأتي بمثل هذا الكتاب المملوء بالمعرفة والحقائق؟ إننا نسأل هؤلاء المتحاملين على الإسلام المفترين على نبوة: كيف كان النبي الأمي يطالع ويستفيد من التوراة والإنجيل؟ وكيف استطاع أن يخبر في القرآن الكريم بكثير من الأمور الغيبية والأخبار الماضية بالإضافة إلى أنباء المستقبل؟

### ما هو الوحي؟

لاشك أن بين الله الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ارتباطاً النوع من أنواع وأنهم بذلك كانوا يتلقون الحقائق من مبدأ العالم وخلقه وأن سبب هذا

ص: 51

---

1- كتاب «الاعتذار إلى محمد والقرآن» الترجمة الفارسية: ص 118 .

الارتباط لم يكن إلا تكامل نفوس هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام) وقوه روحانيتهم وبلوغهم أسمى وأعلى المراتب الإنسانية.

ومما ينبغي الالتفات إليه هو أن الارتباط بالله تعالى لو سلب من الأنبياء (عليهم السلام) لما بقي لهم أي شيء من الكرامة والمنزلة إذ أن كل ما يملكون لا من قدسيّة ومن مقام رفيع إنما هو ناشيءٍ من قابليةِ أهليتهم للارتباط بمبدأ العالم «الله تعالى»، ولذا فإن كل ما كانوا يقولونه وينقلونه لم يكن فيه أي ابهام وغموض لأنهم كانوا يعلمون علم اليقين ماهيته ومصدره ومنبعه، وهذا بخلاف ما يسمونه بـ«الكشف» الذي يدعى البعض إثر قيامه بعض الأعمال والرياضيات النفسانية والذي إن حصل فإن صاحبه ليس على علم بمصدره وموحيه بل أنه غالباً يكون هذا الكشف المدعى نتيجة ظنون وخيال وحدس وما أكثر ما يكون ذلك مخالفًا للواقع.

والواقع أن امتياز الأنبياء عليهم السلام عن هؤلاء المدعين للكشف واضح لا يحتاج إلى بيان فكل ما يراه ويقوله رسول الله سبحانه وتعالى ليس فيه غموض ولا طريق لعلمات الاستفهام إليه وعلى هذا فقد عرفنا أن الوحي هو ارتباط بين الله سبحانه وتعالى وأنبيائه وهذا الارتباط قد يحدث بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام أحياناً ومن دون واسطة أحياناً أخرى .

هل الوحي نوع من المرض؟

يزعم بعض الكتاب الغربيين الذي لانشك في كونهم مغرضين وحاذفين أن نزول الوحي على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن سوى نوع من المرض يسمى بـ(الهستيريا)<sup>(1)</sup> أو (الصرع) ولكن هذه التهمة - من حسن الحظ - واهية الأساس الى درجة لا نرى حاجة معها الى شرح وبيان إذ أن هذا المرض تصاحبه دائمًا أعراض وحالات معينة لانجد لها وجودًا في حالات النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

52:

١- الهيستريا (Hystiria) نوع من الأمراض الروحية العصبية .

يقول «جان ديون بورت» : (إن المزاعم التي يطلقها البعض بأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت تتناسب حالات «الصرع» هي في الواقع من الأقوال الواهية التي لا تستند إلى أي أساس ودليل وأنها جزء من المحاولات التي قام بها بعض اليونانيين المغرضين ليحولوا بواسطة هذه التهمة بين الناس وبين التأثير والاعتقاد بدعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجديدة ولكن ينفرو العالم المسيحي من شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وينظروا إليه من خلال هذه التهمة التي لا تدع مجالاً للاعتماد عليه والإعجاب بشخصيته ومكانته الخلقية والنفسية<sup>(1)</sup> وأننا إنما نقول ببطلان هذه الفرية لأن أحداً لم يشاهد في الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حالات الاضطراب والصرخ والعويل الذي يعتري الشخص المبتلي بمرض (الهستيريا) لم يشاهد ذلك في أشد حالات الوحي ونزوله، على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكذلك فإن الشخص المصابة بالهستيريا حينما تزول منه هذه الحالة ويرجع إلى حاليه الطبيعية لا يتذكر أي شيء مما رأه أو سمعه في تلك الحالة وهذه الحالة على عكس ما كان يشاهده من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أنه كان لا يتكلم أثناء نزول الوحي عليه، وعندما ينجل عنده كأن يبدأ بالحديث عمّا أوحى إليه وما سمعه أو رأه . هذا كلّه بالإضافة إلى أن كلام المصابة «بالهستيريا» يكون مرتبطاً في الغالب بما تخلقه وتصوره له أعصابه المحطمّة من أوهام وخيالات مثل أن يرى صوراً مخوّفة وموحشة تؤذيه وتهدده بالقتل فتكون في هذه الحالة كلماته تدور حول هذا الموضوع ولكن لم يجد أي شخص إلى الان أن مصاباً بالهستيريا يكون كلامه وحديثه مشتملاً على العلوم والقوانين الصحيحة والتعاليم الهدية كقوانين الإسلام التي لم يستطع إنسان إلى الان وبعد أربعة عشر قرناً من الزمان أن يتحداه ويوجد فيها نقطة ضعف أو خلاف للطبيعة والقدرة البشرية .

ص: 53

---

1 - كتاب «الاعتذار إلى محمد والقرآن» : ص 20 .

إن التقدم والاكتشافات العلمية التي ظهرت في عالم اليوم لم تؤثر في مكانة الإسلام وتقلل من قيمته خلافاً لما يتصوره البعض، وإنما أيدت وقوت من مركزه الوطيد ودعمت أسسه ومبانيه فظهور واكتشاف الرادار والاسلكي والإشارات التلفونية، كل هذه الأمور أثبتت أن موضوع الوحي لا يتعارض أبداً مع نواميس الطبيعة وأسرار الخلقة. ذلك أن الله الذي جعل وسائل المواصلات والاتصالات هذه في خدمة البشر لاشك أنه يستطيع أن يوجد رابطة ووسيلة خاصة بينه وبين سفرائه في خلقه - أي الأنبياء عليهم السلام - وان كانت لانتقاد بهذه المخترعات البشرية .

ومن ناحية أخرى فإن ظهور بعض العلوم وتوسيعها مثل «إحضار الأرواح» و«التنويم المغناطيسي» و«الانتقال الأفكار» و«التأثير الروحي» كل هذه العلوم أوضحت بما لا يدع مجالاً للشك بأن حقائق العالم لا تحصر في إطار المحسوسات.

وأخيراً فإن العلم والتاريخ يشهدان بأن نبئي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المختار والمنتخب من تعالى لهداية البشر وإرشادهم وإنقاذهم من الانحراف وإخراجهم من ظلمات الجهل والفساد وأن كل هذه الأفكار السامة والبرامج الحياتية الراقية إنما وصلته من طريق الوحي .

إن العالم الإسلامي يفتخر بقائده العظيم الرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) لأن رسالته الإسلامية لم تكن مصدر سعادة وحياة عالمه وعصره فحسب وإنما تعتبر منذ 14 قرناً خير مرشدٍ وهادٍ للعالم المتمدن اليوم وستبقى كذلك إلى يوم القيمة.

وأن علماء العالم ومفكريه صاروا يدركون أكثر فأكثر عظمة الإسلام وعمق رؤيته ودقة نظرته وصلاح قوانينه.

طريقة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ

ص: 55

حينما نزل النبي محمد (صلى الله عليه وآلہ وسلم) من جبل (حراء) متوجهاً إلى بيته، كان يرى نفسه في عالم آخر، إذ أنه قبل أن يذهب إلى الجبل لم يكننبياً، أما الآن فقد ارتبط بمبدأ العالم وخالقه، وتحقق تلکم النبؤات والبشارات التي بشره بها «بحيرا» وغيره من الرهبان والعارفين، وعلم الآن أن مسؤولية خطيرة قد جعلت على عاته وعليه أن يتحملها ويقوم بها . وهكذا كان يفكر في أطراف هذه المسؤولية وعواقبها ومقتضياتها وإن قيل أنه كان حينذاك قلقاً مضطرباً، فانما كان لأجل هذه المسؤولية وثقلها، لا لأجل أنه لم يكن يعلم أنه صارنبياً أم لا، أو كان يخشى أنه قد أصيب بسحر أو جنة فالحقيقة أن كل هذه الأوهام لم تجد طريقاً إلى قلب محمد (صلى الله عليه وآلہ وسلم) أبداً، إذ أن البشائر والنبؤات السابقة التي كان قد سمعها من أفراد متعدددين، ورؤيه الجبرئيل عليه السلام الذي بشره وقال له «يا محمد أنت رسول الله»<sup>(1)</sup> هذه الأمور كلها كانت كافية ليقطع بأنهنبيٌ هذه الأمة . هذا بالإضافة إلى أن الله تعالى حينما ينتخبنبياً لهداية الناس فلا بد أن يريه من الآيات والبراهين الساطعة ما يجعله يتيقن ويطمئن إلى أنه مرسلاً من قبل الله تعالى لكي يستطيع هذا النبي المرسل أن يسعى في طريق

ص: 56

---

1 - السيرة لابن هشام : ج 1، ص 237.

الإصلاح والهداية بقلب مطمئنٍ وعزم راسخ وإيمان قوي ثابت. وبناء على هذا تفهم كم يكون الادعاء باطلًاً ومن دون تحقيق حين يقال «إن محمدًا لم يعلم أنه قد صارنبياً بعد لقائه الأول مع جبريل(عليه السلام) في الغار، وأنه كان قلقاً مضطرباً . وأفضى بمخاوفه إلى خديجة(سلام الله عليها) أن يكون قد صار كاهناً أو تكون به جنة، إلى أن طمأنته خديجة وبشرته بأنه سيكون نبيًّا هذه الأمة»<sup>(1)</sup>.

### خديجة في انتظار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

إنَّ ما حديث يوم البعثة من نزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في الغار ... أوجب أن يتأخـر محمدـ(صلى الله عليه وآلـه وسلم) في الرجوع إلى البيت، وقد قلقت خديجة(سلام الله عليها) حينما استبطأته، وارسلت من يلتمسه في الغار إلـا أنه لم يجده، وفجأة رأت محمدـاً(صلى الله عليه وآلـه وسلم) يدخل عليها البيت وأثار التغيـر بادية عليه، فسألته عن سبب تأخـره في المجيـء فأجابها (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وأخبرـها عـمـا جـرى لـه في ذلك اليوم. وكانت خديـجة(سلام الله عليها) منذ مـدة طـويلـة تـنـتـظـر مـثـلـ هـذـاـ اليـومـ، ذـلـكـ آنـهـ سـمعـتـ غـلامـهاـ«مـيسـرةـ» ذـاتـ مـرـةـ وـهـوـ يـحـدـثـهاـ عـنـ الـراهـبـ النـصـرـانـيـ فـيـ حـقـ مـحـمـدـ (صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) وـهـمـاـ فـيـ طـرـيقـ الشـامـ إـذـ قـالـ لـهـ «إـنـ هـذـاـ نـبـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ»<sup>(2)</sup> كما أنها كانت قد تلـقـتـ بـشـارـاتـ مـنـ بـعـضـ عـلـمـاءـ الـيـهـودـ وـالـنـصـارـىـ الـذـينـ أـكـدواـ أـنـ سـيـكـونـ لـهـ شـأنـ عـظـيمـ.

لهـذاـ كـلـهـ قـامـتـ خـديـجةـ(سلام الله عليها) وـانـطـلـقـتـ إـلـىـ اـبـنـ عـمـهـاـ«ورـقةـ بـنـ نـوـفـلـ» الذـيـ كـانـ مـسـيـحـيـاـ قـدـ قـرـأـ الـكـتـبـ وـسـمعـ مـنـ أـهـلـهـاـ، فـأـخـبـرـتـهـ بـمـاـ أـخـبـرـهـ بـهـ رـسـوـلـ اللهـ(صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) وـمـاـ رـأـهـ وـسـمـعـهـ فـقـالـ وـرـقةـ:ـ«وـالـذـيـ نـفـسـ وـرـقةـ بـيـدـهـ لـقـدـ جـاءـ النـامـوسـ الـأـكـبـرـ (أـيـ جـبـرـيـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ الذـيـ كـانـ يـأـتـيـ مـوـسـىـ، وـأـنـهـ لـنـبـيـ

ص: 57

1- حـيـاةـ مـحـمـدـ (صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ)ـ لـهـيـكلـ:ـ صـ 134ـ.

2- اـعـلـامـ الـورـىـ:ـ صـ 47ـ.

ورجعت خديجة (سلام الله عليها) من عنده وبعد أسئلة قصيرة طرحتها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واستفسار عن رسالته الجديدة أسلمت على يده (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمنت به وصدقته بما جاءه من الله، وبهذا حازت قصب السبق والفخر فكانت أولى من أسلم من النساء (2).

## على (عليه السلام) أول من أسلم من الرجال

أصيبت قريش في أحدي السنين بأزمة قحط شديدة، وكان أبو طالب (عليه السلام) ذاعيال كثير، ومال قليل مما دعى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأخذ «علياً (عليه السلام)» إلى بيته ليخفف بذلك عن عمه أبي طالب (عليه السلام) (3)، ومنذ ذلك الوقت والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كالأب الحاني المحب يحرص على تربيته وتنشئته بأحسن وجه ولأن علياً (عليه السلام) كان يعيش في بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان أكثر من غيره تعرفاً على خصوصيات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأخلاقية وفضائله وصفاته. ولذا فقد سارع إلى اليمان بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن بصيرة كاملة في أمره وهو في العاشرة من عمره، وبهذا حاز هو الآخر قصب السبق من الرجال فكان أول رجل آمن بالله ورسوله (4).

## تشريع الصلاة

كانت الصلاة أول الواجبات التي فرضها الله تعالى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين، بعد الأمر بتوحيد الله وعبادته وحده، ومن هنا يتضح مدى

ص: 58

- 
- 1-1 - السيرة لابن هشام : ج 1، ص 238 .
  - 2-2 - المناقب : ج 1، ص 42 .
  - 3-3 - السيرة لابن هشام : ج 1، ص 246، بحار الأنوار : ج 18، ص 208 .
  - 4-4 - سيرة ابن هشام : ج 1 ص 245 ، بحار الأنوار: ج 18، ص 188، الغدير : ج 3، ص 219 - 241، تاريخ الطبرى : ج 3، ص 1160 .

أهمية وعظمة الصلاة باعتبارها ركيزة الارتباط بين الانسان وخالقه، والمعبرة عن شكر الله تعالى على نعمه التي لا تحصى ولهاذا أكد قادة الإسلام والرسول الأعظم على الخصوص في وصاياتهم على أهمية الصلاة ومنزلتها فقد جاء في الحديث : «الصلاحة عمود الدين»[\(1\)](#) وورد كذلك عن الإمام الأطهار (عليهم السلام) «لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاحة»[\(2\)](#).

وعلى أي حال فقد أوحى الله تعالى إلى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بواسطة جبرئيل (عليه السلام) كيفية الصلاة وشرائطها وقد علمها النبي<sup>ﷺ</sup> (صلى الله عليه وآله وسلم) خديجة (سلام الله عليها) وعليها<sup>عليه السلام</sup> وأقاموا معاً الصلاة جماعة يؤمهمما النبي<sup>ﷺ</sup> (صلى الله عليه وآله وسلم)[\(3\)](#).

### ثلاث سنوات من التبليغ العملي

بدأ النبي<sup>ﷺ</sup> الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) دعوته السرية أول الأمر وذلك لمدة ثلاثة سنين ، ذلك أن أرضية الجزيرة العربية بشكل عام ومكة وأطرافها خاصة لم تكن مهيأة لتقبل الدعوة العلنية للإسلام وهم الذين قضوا السنين الطويلة في عبادة الأصنام والشرك بالله تعالى ، ولو كان النبي<sup>ﷺ</sup> (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أعلن دعوته بادئ الأمر لواجهته مشاكل وعقبات صعبة تحول بينه وبين هدفه الأساسي المقدس ، وللهذا كان النبي<sup>ﷺ</sup> (صلى الله عليه وآله وسلم) يقف على مرأى من المشركين الذين كانوا يعبدون آلهة متعددة... ليقيم الصلاة التي هي عبارة عن مجموعة من المعارف المعنوية والتي تعبر عن الشكر والثناء والدعاء لله الخالق الواحد الأوحد .

لقد كان النبي<sup>ﷺ</sup> (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه على<sup>عليه السلام</sup> وخدية (سلام الله عليها) يذهبون إلى

ص: 59

1-1 - وسائل الشيعة : ج 3، ص 16 - 17 .

2-2 - وسائل الشيعة : ج 3، ص 16 .

3-3 - اعلام الورى : ص 37 جامع أحاديث الشيعة : ج 2، ص 31، والمعلوم أن الصلاة حينئذ كانت ركعتين فقط لكل وقت من الأوقات الخمسة.

مناطق تجمع الناس «كالمسجد الحرام» و«منى» ويقيمون الصلاة جماعة أمام الآخرين، وكان هذا الأمر بمثابة أسلوب عملي في الدعوة إلى عبادة الله وحده<sup>(1)</sup>.

يروى عن عفيف أنه قال: «كنت امراً تاجراً قدمت أيام الحج وأتيت العباس بن عبد المطلب فيينا نحن عنده إذ أقبل شاب فرمى بيصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة وبدأ الصلاة فلم يلبث حتى جاء غلام فوق عن يمينه. ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما فصلوا معاً، فقلت يا عباس ما هذا الدين الذي لا أدرى ما هو؟

فقال العباس: إن هذا الشاب محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعتقد أن الله الذي خلق السماوات والارض قد أرسله لهداية الناس، وليس على هذا الدين اليوم غير هؤلاء الثلاثة وإن هذه المرأة هي زوجته خديجة بنت خويلد، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب علي بن أبي طالب<sup>(2)</sup> واستمر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على هذه الحالة حتى بدأ عدد المسلمين يتزايد يوماً فيوماً، وتوسعت دعوته على رغم مناهضة المشركين، ولذا فقد صدر الأمر من الله تعالى لنبيه أن يعلن دعوته ويتصدّع بأمره لأن الأرضية للعمل الإسلامي العلني صارت معدة ومهيأة.

### دعوة الأقربين، وأول معجزة لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد توفّرت الأرضية المساعدة لإعلان الرسالة الإسلامية بعد أن استمر عدد المسلمين بالازدياد، وكانت المرحلة الأولى أن يدعى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أقاربه وعشيرته إلى الإسلام، فنزلت عليه هذه الآية ( وأنذر عشيرتك

ص: 60

---

1- اعلام الورى : ص 38 تاريخ الطبرى : ج 3، ص 1162 .

2- تاريخ الطبرى : ج 3، ص 1122 .

الأقربين)[\(1\)](#) وإنما اختص أقاربه بالدعوة أول الأمر لسبعين:

أولهما: لكي لا يقال لماذا لا يدعو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أهله وعشيرته إلى دينه الجديد ويذهب لأنذار البعيدين عنه، فان كان في دعوته خير وسعادة فلماذا يحرم منها عشيرته وأقاربه؟

وثانيهما: أنه كان بحاجة إلى حماية أكثر تساعدة على المضي في نشر رسالته وتمنع عنه أذى الجاهلين.

لهذا فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نزول هذه الآية أمر علياً (عليه السلام) بأن يهيء طعاماً ويدعو إليه عشيرته الذين كان يبلغ عددهم حوالي أربعين نفراً. فامثل على (عليه السلام) أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهياً ما أراد ولما حضر الجميع جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمقدار من ذلك الطعام بحيث شبعوا بأجمعهم دون أن ينقص من الطعام شيء فتعجب الحاضرون واندهشوا لذلك، إلا أبو لهب الذي فض الا جتماع وقال «إنه عمل ساحر» قال هذه الكلمة غافلاً عن ان السحر لا يمكن أن يشبع الانسانحقيقة وواعقاً، إذ لا يتعدى السحر ان يكون أمراً وهمياً خيالياً.

وبهذا فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يستطع ان يتكلم شيئاً في هذه المرة ولكنه كرر الدعوة لهم في اليوم التالي وأطعمهم بنفس الصورة السابقة وبعد ذلك قام فيهم خطيباً وقال: «يابني عبد المطلب، لقد أرسلني الله اليكم نذيراً وبشيراً، والله ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربى أن أدعوكم اليه، فأياكم يؤازرني على هذا الأمر، وأن يكون أخي ووصيي وخليقتي فيكم؟ فسكتوا جميعاً، إلا علياً فقد نهض وهو ما يزال صبياً وقال «أنا يارسول الله عونك أنا حرب على من حاربت» فأجلسه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعاد عليهم مقالته

ص: 61

---

1 - سورة الشعرا : الآية 214 .

ثلاث مرات وفي كل منها يقوم على (عليه السلام) فقط وحينذاك أشار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي (عليه السلام) وقال «هذا أخي ووصيي وخليفي فاسمعوا له وأطعوه»<sup>(1)</sup>.

وفي هذا اليوم بالذات أعلن عدد من الناس إسلامهم<sup>(2)</sup>.

ولكن الجهل والتعصب لم يدعه ان يؤمن بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كافة اقربائه وعشيرته، وإن لم يكن ذلك المجلس خالياً من الأثر بالنسبة الى حماية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واسناده، وفي هذه القصة يتضح أمران: أحدهما: معجزة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا أنه أشعّ أربعين نفراً بطعم قليل.

و ثانيهما: أن الكلمات التي قالها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق علي (عليه السلام) أوضحت بما لا يدع مجالاً للشك والريب ان علياً (عليه السلام) هو وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفته بدون منازع، وأنه هو المعد لمواصلة قيادة الرسالة الإسلامية.

وهكذا تهيأت الظروف لانتقال الدعوة الإسلامية الى المرحلة العلنية وبدأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جهاده وواصله بروح لا تعرف التعب والكليل، فلم يتوان ساعة عن أداء رسالته المقدسة، وفي هذا الوقت بالذات بدأت راية الإسلام بالاهتزاز، وشرعت الحقيقة تتقدم الى الأمام، يسطع نورها ويتألاً ليكتسح الظلام .

ص: 62

- 
- 1 - تاريخ الطبرى: المجلد الثالث ص 1171 - 1173 تفسير مجمع البيان المجلد السابع ص 206، بحار الأنوار : المجلد الثامن عشر ص 192 وهذا الموضوع من الحقائق الثابتة التي يقبله المؤرخون المسلمين وغيرهم راجع الغدير المجلد الثاني 278 .
  - 2 - تاريخ اليعقوبى : المجلد الثاني ص 22 .



مرت ثلاثة سنين على بعثة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان خلالها يدعو الناس إلى الإسلام بصورة سرية، ولا يدخل وسعاً في سبيل إنقاذ الناس الذين جرفتهم مفاسد الجاهلية، وتمرغوا في أحوال الشرك والضلالة، وكان الحب والحنان، والرأفة، والمنطق الجذاب هو الطريق، وهو السلاح الذي بواسطته يدخل إلى قلوب الناس ويحذفهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده<sup>(1)</sup>.

ولكن هذه المرحلة السرية لم تدم ذلك أن الإسلام رسالة عالمية ولابد أن تصل إلى مسامع جميع الناس (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً للعالمين) ولهذا كان لابد أن يظهر الدعوة ويعلن الأهداف التي جاءت لأجلها رسالته السماوية.

### **نداء محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على الصفا**

بعد أن أمر الله نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أن يصدع بدعوته ويعلنها إلى الناس وينشرها بين القبائل جماعاً، امتنى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هذا الأمر وأراد أن يبين حقيقة دعوته على الملا، فتوجه إلى جبل الصفا ليخاطب الناس من

ص: 64

---

1 - السيرة لابن هشام : ج 1، ص 262 تاريخ اليعقوبي : ج 2، ص 19 .

ذلك المرتفع، ووقف (صلى الله عليه وآله وسلم) هناك ونادى برفيع صوته «يا أصحاباه» فاجتمعوا إليه قريش فقالوا مالك؟ قال أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصيحكم أو مسييكم أما كنتم تصدقونني؟ قالوا بلى، قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد [\(1\)](#).

فنهض أبو لهب وقطع عليه كلامه لئلا تؤثر كلماته في قلوب الحاضرين وصاح في وجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: تبا لك، ألها دعوتنا؟ بهذه الكلمات البذيئة استطاع ان يفرق الجموع ويفسد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دعوته، ولقد جازاه الله تعالى على هذا الانكار والعداء لله ورسوله أن أنزل سورة من القرآن في ذمه، وهي: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) إلى آخر السورة [\(2\)](#).

ردود الفعل لنداء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد كان لنداء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلماته الحكيمية البلغة كبير الأثر في كثير من الذين استمعوا إليه . وببدأ الحديث وانتشر في مجالس قريش ومحافلهم عن الدين الجديد الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولقد وجد البعض منهم أرهقتهم المظالم والهبت ظهورهم سياط الظلم والعدوان... وجدوا في هذه الدعوة العادلة الرحيمة نافذةأمل ورجاء في اصلاح أحوالهم، ونجاتهم، مما كانوا يقايسون من الذل والحرمان.

ولكن أشراف قريش وزعمائهم لم يستجيبوا للدعوة الجديدة، بل صمموا على الوقوف في وجهها ووضع العراقيل أمامها ذلك أنهم وجدوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يسخر من آلهتهم التي كانوا يعبدونها هم وآباؤهم، ولم يكن يترك فرصة إلا وندد بسخف عقائدهم، وبين زيفها وبطلانها، والحقيقة هي أنهم بدأوا يشعرون بما في دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته من خطر يهدد

ص: 65

1-1 - تاريخ الطبرى : ج 3، ص 1170 .

2-2 - السيرة الحلبية : ج 1، ص 311 .

كيانهم ومكانتهم اذ ان الناس لو تركوا الأصنام وعبادتها وتوجهوا الى الله تعالى وحده بالتعظيم فأين تذهب منافع هؤلاء السادة الحاكمين ؟  
ومن يمثّل أوامرهم ويختضع لمقامهم الديني الشريف ؟

ولم يروا بُدًّا أن يجلسوا في دار ندوتهم ويبحثوا فيما يجب اتخاذه لمنع هذه السيرة المباركة من التقدم، وقد استقر رأيهم على أن يذهبوا الى أبي طالب(عليه السلام) كبير قريش والذي كان بمثابة الوالد للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ليطلبوا منه أن يمنع محمداً (صلى الله عليه وآلـه وسلم) من الاستمرار في دعوته فذهب اليه رجال من أشراف قريش وفي مقدمتهم أبو سفيان، فتحذثوا عن محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ودينه وأنه سب آلهـمـ وعـابـ دـيـنـهـ، ولكن أبا طالب(عليه السلام) ردّـهـ جـمـيـلاـ.

### قريش تقدم الشكوى لأبي طالب (عليه السلام)

وجد أشراف قريش أن محاولتهم الأولى لم تتمر، فقد مضى محمد(صلى الله عليه وآلـه وسلم) في نشر رسالته، وازداد أعونـهـ يومـاـًـ بعدـ يومـ، فمشـواـ إلىـ أبيـ طـالـبـ عليهـ السـلامـ مـرـةـ أـخـرىـ فقالـواـ لـهـ: «ـ ياـ أـبـاـ طـالـبـ إـنـ لـكـ سـنـاـًـ وـشـرـفـاـًـ وـمـنـزـلـةـ فـيـنـاـ وـقـدـ اـسـتـهـيـنـاـكـ مـنـ اـبـنـ اـخـيـكـ فـلـمـ تـنـهـهـ عـنـ، وـاـنـاـ وـالـلـهـ لـاـ نـصـبـ عـلـىـ شـتـمـ آـبـاـتـنـاـ وـتـسـفـيـهـ أـحـلـاـمـنـاـ وـعـيـبـ آـلـهـتـاـ حـتـىـ تـكـفـهـ عـنـاـ أـوـ نـتـازـلـهـ وـايـاـكـ فـيـ ذـلـكـ -ـ أـيـ القـتـالـ -ـ حـتـىـ يـهـلـكـ أـحـدـ الفـرـيقـيـنـ ثـمـ اـنـصـرـفـوـاـ عـنـهـ ». فـدـعـاـ أـبـوـ طـالـبـ (ـعليـهـ السـلامـ)ـ مـحـمـدـاـ (ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ وـأـخـبـرـهـ بـمـقـالـةـ الـقـوـمـ، وـطـلـبـ رـأـيـهـ فـيـ ذـلـكـ . فـأـجـابـهـ رـسـوـلـ اللـهـ (ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ قـائـلاـ: «ـ يـاعـمـ وـالـلـهـ لـوـ وـضـعـواـ الشـمـسـ فـيـ يـمـيـنـيـ وـالـقـمـرـ فـيـ يـسـارـيـ عـلـىـ أـنـ أـتـرـكـ هـذـاـ الـأـمـرـ حـتـىـ يـظـهـرـهـ اللـهـ اوـ أـهـلـكـ فـيـهـ مـاـ تـرـكـتـهـ ثـمـ خـرـجـ مـتـأـثـراـ وـقـدـ خـنـقـتـهـ الـعـبـرـةـ ». .

فـنـادـاهـ أـبـوـ طـالـبـ (ـعليـهـ السـلامـ)، وـقـالـ لـهـ: «ـ أـقـبـلـ يـابـنـ اـخـيـ فـلـمـ أـقـبـلـ، قـالـ لـهـ:

اذهب يابن أخي فقل ما أحبيت، فوالله لا أسلنك لشيء أبداً»[\(1\)](#).

ثم إن قريشاً سلكوا طريقاً آخر لمنع أبي طالب(عليه السلام) من مناصرة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وحمايته فمشوا إليه واخذوا معهم عمارة بن الوليد بن المغيرة وقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أقوى فتى في قريش وأجملها، فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولداً فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، فقتله، فانما هو رجل برجل، فأجابهم أبو طالب (عليه السلام) قائلاً: والله لبيس ما تسوونوني اعطوني ابنكم أغدوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله مالا يكون أبداً[\(2\)](#).

### قريش تحاول إغراء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد ظن زعماء قريش انهم قد يستطيعون ايقاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن المضي في دعوته وذلك باغرائه بالمال أو الشرف أو الملك والمنصب، ولهذا فقد جاءوا إليه ذات مرة وقالوا له: يا محمد، ان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غالب عليك - وكانا يسمون التابع من الجن رئياً - فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطيب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

«قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما بي ما تقولون : ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربى، ونصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن ترددوا علىّ

ص: 67

1-1 - السيرة لابن هشام : ج 1 ص 265 - 266.

2-2 - السيرة لابن هشام : ج 1 ، ص 266 - 267.

أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم »[\(1\)](#).

ولما رأت قريش أن جميع أساليبها لم تفع في كف محمد<sup>ص</sup>(صلى الله عليه وآله وسلم) عن تبليغ رسالته، قنعوا واكتفوا منه أن يكف عن شتم آلهتهم ويتركوه وشأنه، لذا جاءوا إلى أبي طالب<sup>ع</sup>(عليه السلام) وطلبوه منه أن يبلغ محمداً<sup>ص</sup>(صلى الله عليه وآله وسلم) مقالتهم فأرسل أبو طالب إلى النبي<sup>ص</sup>(صلى الله عليه وآله وسلم) فلما دخل عليه أخبره باقتراحهم .

فقال النبي<sup>ص</sup>(صلى الله عليه وآله وسلم) ياعم : أولاـ أدعوهم إلى ما هو خير لهم أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم؟

فقال أبو جهل: ماهي؟ واياك لنعطيكها وعشراً أمثالها؟ قال النبي<sup>ص</sup>(صلى الله عليه وآله وسلم) أن تقولوا: « لا إله إلا الله » فنفروا واقالوا: سلنا غير هذه، فقال رسول الله<sup>ص</sup>(صلى الله عليه وآله وسلم) لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها<sup>ص</sup>[\(2\)](#) .

ولما وجد زعماء قريش أن أحاديثهم مع النبي<sup>ص</sup>(صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمكن أن تؤدي إلى نتيجة لصالحهم يجعله ينفض يديه من رسالته، فلا التهديد ولا الوعيد يستطيع أن ينال عن عزم النبي<sup>ص</sup>(صلى الله عليه وآله وسلم) وثباته، فقد صمموا أن يتخذوا قباله موقفاً أشدّ.

ص: 68

---

1 - السيرة لابن هشام : ج 1، ص 295-296.

2 - تاريخ الطبرى : ج 3، ص 1176 .

مشاكل الطريق

و تعذيب قريش

ص: 69

منذ اليوم الذي بدأ فيه النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) دعوته العلنية للإسلام، وزعماء قريش يتبعون الأسلوب تلو الأسلوب لاسكات هذا الصوت المقدس ومنعه من الاستمرار في الدعوة إلى رسالته الكريمة المقدسة فلقد لجأوا أولاً - كما هو متعارف في مثل هذه الحالات - إلى الاغراء بالأمور المادية وإطلاق الوعود من أموال ورئاسة ونساء وغير ذلك ولما يئسوا من ذلك استعملوا أسلوب التهديد والوعيد، وأخيراً سلكوا طريق الأذى والتعذيب ليصدوا الناس عن اتباع الدين الجديد.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة في حياة النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مرحلة اتصف بالحقد والوحشية من قبل قريش ليمنعوا رسالة الإسلام من التوسيع والانتشار خوفاً على مصالحهم الرخيصة وحفظاً على مكانتهم المهزوزة وسلطتهم الجائر على أنفاق الضعفاء ولهذا لم يراعوا القواعد الإنسانية والآصول الأخلاقية في الوصول إلى أهدافهم في الحيلولة بين النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وتبيّغ رسالته إلى الناس.

وهنا لا يمكن أن ننسى أن المستوى العقلي والفكري لذلك العصر كان دخيلاً في عدم تقبل البعض من الناس لرسالة الإسلام إلا ان مخالفة قريش وعداءها إنما اشتد وقوى حين أحسّوا أن في هذه الرسالة خطراً جدياً

عليهم، ذلك أنهم وجدوا النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يسخر من أصنامهم ويقول: ما عسى أن تفعله هذه الأصنام الخرساء المصنوعة من الخشب أو الحجر أو تجلبه من البركة؟

وكانوا يعتبرون ذلك ضربة قاسية توجه اليهم لأنهم كانوا يعتبرون عبادة الأصنام جزءاً مما ورثوه ن آبائهم وأجدادهم وأمجادهم التي يفخرون بها.

ولكن الأهم من ذلك كله أنهم وجدوا أن تعليمات الدين لا تتلائم مع مصالحهم الطبقية ومنافعهم الضيقة فقد كان زعماء قريش لا يريدون بحال من الأحوال - أن يتنازلوا عن تسلطهم واستثمارهم للطبقة الفقيرة الكادحة والممحونة، وامتلاكهم للرقيق - العبيد - الذين كانوا يعاملونهم بمنتهى القسوة والوحشية وكذلك كان أصحاب الأموال من المرابين يريدون إبقاء النظام الربوي ليتمكنوا ما يحلو لهم من دماء الناس الضعفاء وكذلك كان جبارتهم وطغائهم والمتكبرون منهم يسعون إلى سيطرتهم على الناس ونهب أموالهم والاعتداء على حرماتهم وإرهابهم بقوة السيف والستان. وهكذا نجد أن من الطبيعي لهذه الرسالة الجديدة التي أعلنت منذ ساعتها الأولى مخالفتها واستنكارها لكل هذه التجاوزات على الحقوق الإنسانية والظلم الصرير الذي يرتكز عليه النظام الاجتماعي الفاسد كله، من الطبيعي أن تواجه مخالفة شديدة وعداء مستحکماً من الطبقة المتنفذة والمنتفعنة من استمرار النظام القديم.

وطالعنا بين أفراد هذه الطبقة المخالفة للدين الجديد أسماء شخصيات قرشية معروفة مثل: أبي جهل، أبي سفيان، أبي لهب، الأسود بن عبد

يعوث، العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابني ربيعة، التوليد بن

المغيرة، عقبة بن أبي معيط .

ولقد استعمل هؤلاء وأتباعهم كل الأساليب الإنسانية، من تهم رخيصة وسب مقدع وحصار اقتصادي ومالى، وتعذيب نفسى ضد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعه المسلمين وهنا نشير الى بعض الأمثلة من ذلك :

1 - بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ساجد وحوله ناس من قريش وثم سلى بغير ف قالوا من يأخذ سلى هذا الجزور أو البعير فيقذفه على ظهره؟ فجاء عقبة بن نافع بن أبي معيط فقذفه على ظهر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاءت فاطمة (سلام الله عليها) فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك ....[\(1\)](#).

2 - عن طارق المحاري قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في سوق ذي المجاز بمكة، وهو يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تقلحوا ويدعوا الناس إلى الإسلام وتوحيد الله فيما كان أبو لهب يتبعه ويرمي بالحجارة وقد أدمى رجله، وهو يقول: «أيها الناس: لا تطيعوه فإنه كذاب»[\(2\)](#).

وبالاضافة الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد تعرض أصحابه وأتباعه الذين أسلموا على يديه وآمنوا به ... الى أ بشع تعذيب وحشى لا إنساني.

3-روي عن جابر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مر يوماً بumar وأهله يعذّبون في الله، فقال: «ابسروا آل عمار فإن موعدكم الجنة»[\(3\)](#) يقول ابن الأثير: كان المشركون يعذّبون عماراً وأباه وأمه أشد العذاب وذلك بأن يخرجوهم إلى الابطح اذا حميت الرمضان - الأرض - يعذّبونهم بحر الشمس الملتهبة .

ولقد قتلت (سمية) أم عمار وهي أول شهيدة في الإسلام، بحرقة ضربها بها أبو جهل وقتلها كما قتل ياسر (والد عمار) هو الآخر تحت تعذيب المشركين.

ص: 72

1-1 - إعلام الورى للطبرسي : ص 47 .

2-2 - المناقب لابن شهر آشوب : ج 1 ، ص 56 .

3-3- اعلام الورى : ص 48 .

وشددوا العذاب على عمار نفسه بالحرارة وبوضع الصخرة على صدره أخرى وهم يريدون منه أن يسب محة مداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ويظهر الكفر وهو يمتنع عن ذلك حتى أجابهم إلى ذلك تقية منهم وإن كان قلبه مطمئناً باليمان كما تقول الآية وبذلك نجا من الموت الذي كان ينتظره على أيديهم [\(1\)](#).

4 - ومن جملة من عذب (بلال) الحبشي وكان عبداً قد أسلم على يد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان مولاه اذا حمي الشمس وقت الظهيرة يلقى في الرضاء على ظهره ثم يأمر بصخرة عظيمة فلتقي على صدره ويقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى وكان بلال صامداً صابراً في تحمل كل ذلك العذاب والتهديد ولا يجيب إلا بكلمة واحدة يكررها ويقول : أحد [\(2\)](#).

وإننا لنأسف من أنه لا يسعنا في هذه المقالة الموجزة أن نستوعب جميع القصص المحزنة والصور الفريدة التي تعرض لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون في صدر الإسلام وأيامه الأولى، ولكننا يمكن أن نقول: إن المشركين وأعداء الإسلام لم يدعوا وسيلة إلا واستعملوها، لمناهضة الإسلام وحربه والوقوف في وجهه ويمكن الاشارة بصورة إجمالية إلى هذه الوسائل والأساليب :

1 - الضغوط الاقتصادية: لقد شن المشركون حرباً اقتصادية شديدة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعشيرته وأتباعه المسلمين، فحرموا جميع أنواع المعاملات التجارية معهم، وكان ذلك سبباً لأزمة شديدة وحصار أليم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن معه

ص: 73

---

1 - الكامل لابن الأثير : ج 2، ص 67، ط بيروت.

2 - المصدر السابق : ج 2، ص 66 .

2 - الحرب النفسية: وكانت تمثل في قطع الروابط الاجتماعية بال المسلمين وعدم الزواج معهم، بالإضافة إلى اتهام النبي ﷺ (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسحر تارة والكذب أخرى لضعف الروح المعنوية لدى المسلمين.

3- التعذيب الجسدي : الذي كان هو الآخر من الأساليب الوحشية الإنسانية التي استعملتها «قريش» للقضاء على النهضة الجديدة بقادتها وأتباعها، وقد أدى هذا الإيذاء والتعذيب إلى استشهاد عدد من المؤمنين في صدر الإسلام .

ولكن بالرغم من كل هذه الأساليب المقيمة التي اتباعها المشركون في حربهم ومناهضتهم للإسلام والنبي ﷺ (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين ... فإن الإسلام استمر في تقدمه وانتشاره، كما استمر النبي ﷺ (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعوه الناس إلى طريق الحق المستقيم، وكذلك استمر المسلمون في جهادهم وثباتهم على دينهم القويم .

ولقد سلكوا هذا الطريق المجيد المليء بالفخر وتحملوا المشاكل الكثيرة والإيذاء والألم والشقاء والصعب والهجرة والتشريد .... كل ذلك حرصاً على دينهم وفي سبيل عقيدتهم وإيمانهم .

ومن الأمور المهمة التي تستفيد منها من حياة وتاريخ المسلمين في صدر الإسلام أننا خلافاً لمزاعم وادعاء أعداء الإسلام لأنجد تقدم الإسلام وانتشاره معتمدًا على السيف وال الحرب بل أنه خلال مدة ثلاثة عشرة سنة عانى المسلمين فيه أشد أنواع القسوة والتعذيب من أعدائهم، كان الإسلام يقاوم ذلك كله ويتقدم ويتنتشر.

هجره النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم)

بدایہ تاریخ و تحول فی

ص: 75

كان النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) يقرأ في قسمات وجوه أهل مكة ما تكنته قلوبهم له من تكذيب ... وما سيزرعون في طريق الإسلام من عوائق وعقبات.

وكان يعلم أن هؤلاء القوم الغارقين في الجهالات والخرافات، لا يمكن لهم أن يتركوا ما هم عليه بسهولة ويسراً، ولكي يتم اخراجهم من الظلمات إلى النور، لابد من صراع عنيف تبذل فيه جهود جبارة تصل إلى حد التضحية والبقاء .

وعلى أساس من هذه النظرة البعيدة ... التي تعني ما يحمله الغد من صعوبات ... ويمثل هذه البصيرة النافذة إلى كل زوايا المستقبل البعيد... نهض النبي الأعظم (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بأعباء الرسالة.

وأقام (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بمكة المكرمة بعد بعثته ثلاثة عشر عاماً <sup>(1)</sup> يتحمّل فيها ألوان المشقات ويحاول التغلب على المصائب التي تواجهه، ولكن أعداء الإسلام لم يكفوا عن ايذائه بل ومحاولات القضاء على رسالته بشتى الطرق والأساليب ... وكان هذا الوضع يستدعي نقل مركز القيادة من مكة إلى مكان آخر يتوفّر فيه الجو المناسب الذي يحفظ للرسالة استمرار نموها وانتشارها .

ص: 76

---

1 - الكامل لابن الأثير : ج 2، ص 108، ط بيروت 1385 هـ

في أحد مواسم الحج التقى النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في المسجد الحرام بعدد من كبار «الخزرج»، فدعاهم إلى اعتناق الإسلام الذي هو دين السلام العادل والأخوة المثلثي .... ووجد هذا النفر من الخزرجيين في الإسلام ضالتهم المنشودة ... فقد كانوا يعانون الكثير من صراعهم المزمن من «الأوس».

وكان هذا الصراع قد بعث في هذه الفترة بالذات من جديد فاستجابوا للدعوة النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بكل أخلاص ... وطلبو منه أن يرسل معهم من يعلمهم أمور دينهم، فأوفد معهم مصعب بن عمير (رضوان الله).

وهكذا بدأت الدعوة إلى الإسلام تنتشر في يثرب ... وأخذ أهلها يدخلون في دين الله أفواجاً. وكان من العوامل الرئيسة والفعالة في اعتناق هؤلاء لهذا الدين الجديد آيات الله البينات التي تقرأ عليهم. وكتب مصعب إلى النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يخبره باسلام أغلبية القوم من الأوس والخزرج.

بعد هذا التقى النبيّ الأعظم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بمجموعة كبيرة من أهل يثرب قدموا لأداء فريضة الحج ... التقى بهم سرًا فبایعوه على أن يحموه ويدافعوا عنه اذا قدم اليهم كما يدافعون عن نسائهم وأولادهم [\(1\)](#).

هذه البيعة المصيرية في تاريخ الرسالة الإسلامية كانت دليلاً على أن غرسة الإسلام بدأت تؤتي أكلها ...

### **المؤامرة**

كان الظلم مايزال مخيماً عندما طرق سمع قريش النبأ الصاعقة ... نبأ بيعة اليثريين للنبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومعاهمتهم له ...

ولأجل تطويق هذا الحادث والقضاء على الانتصار الذي احرزه رسول

ص: 77

---

1 - اعلام الورى : ط النجف الأشرف 1390 ص 55 - 61 .

الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) تهافت شيوخ الشرك الى دار الندوة .

وبعد أخذ وردة وإبرام ونقض قرروا أن تنتدب كل قبيلة رجلاً ... لينقض هؤلاء المنتدبون على بيت النبي ليلاً ويقتلوه .... وبالقضاء عليه يتم القضاء على دعوته وينتهي كل شيء<sup>(1)</sup>.

هذا ما أراده الكفار، ولكن الله سبحانه أراد شيئاً آخر ... فأطلع نبيه على ما يبيت له القوم وأمره أن يغادر مكة ليلاً<sup>(2)</sup>.

## الأخلاص والفداء

وأودع النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) ما كان عنده من أمانات الناس عند علي عليه السلام ليりدها إلى أصحابها وقال له أنه مغادر مكة وأمره أن ينام على فراشه لكي لا يتبعه الأعداء المغادرة النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) المنزلي ... وامتثل الإمام سالم الله عليه أمر رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ونام على فراشه راضياً أن تهدد سلامته كل الأخطار التي كانت تهدد حياة الإسلام ممثلاً بالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآلها وسلم) .

لقد كان موقف الإمام علي عليه السلام هذا خالصاً لوجه الله وغاية في الأهمية بحيث أن الله سبحانه ذكره في القرآن الكريم وأثنى عليه<sup>(3)</sup>.

## إلى غار ثور

ولم يطبق الظلام إلا وبيت النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) محاصر ... وأعداء الله المنتدبون من كل قبيلة يظنون أنهم أحکموا الخطة...

ص: 78

- 
- 1- تاريخ الطبرى : ج 3 ص 1229 اعلام الورى : ص 61 - 62 .
  - 2- تاريخ الطبرى : ج 3، ص 1231، بحار الأنوار: ج 19، ص 60 .
  - 3- بحار الأنوار: ج 19، ص 78 .

ههنا بيت الرسول يحيط به نفر سوء ... وداخل البيت علي (عليه السلام) بيت حيث اقتضت المصلحة وجاءه الأمر ... وخارج البيت ثعابين، ياللشيطان الى أي حد استطاع إغواهها !! حتى أنها أصبحت بعد رسم الخطة تنتظر بفارغ الصبر نبا مقتل سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) .

والى جانب هذه المشاهد الثلاثة كان ثمة مشهد رابع ...

ها هو رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) متوجهًا الى غار ثور ... عبر طريق خاص بعد أن غادر البيت وهو يقرأ آيات من سورة يس ... واصطحب معه في رحلته أبا بكر [\(1\)](#).

وجريدة أولئك النفر المسؤولون الذين كانوا يحاصرون البيت سيوفهم ... وهجموا باتجاه فراش النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ولكلّم كان هول الصدمة قاسياً رأوا علياً [\(عليه السلام\)](#) على فراشه (صلى الله عليه وآلہ وسلم) .

وأسقط في أيديهم ... وباضطراب سألاوه: «أين ابن عمك محمد؟!! قال علي (عليه السلام): أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتكم له: اخرج عننا فقد خرج عنكم بما تريدون؟ ...» [\(2\)](#).

وحين رأت قريش أن كل جهودها قد ذهبت سدى شعرت بأنها طعنت كبرائها في الصميم فحاولت جاهدة العثور على رسول الله ... ولكن لم يحالفها النجاح.

## الى يثرب

بقي النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) في غار ثور ثلاثة أيام . ثم اتجه الى يثرب... وكانت هذه الفترة كافية لزرع اليأس في قلوب الكفار ليكفروا عن ملاحقة.

ص: 79

1 - تاريخ الطبرى : ج 2، ص 1234 .

2 - اعلام الورى : ص 63 .

والتأريخ يذكر لنا أن رجلاً مكياً يدعى «سراقة بن مالك» كان قد كان قد تبع أثر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنه مرّ بصعوبات وعثرت به الفرس واسقطته أرضًا مما دعاه لأن يتوب ويرجع [\(1\)](#).

وفي الثاني عشر من ربيع الأول وصل (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى منطقة يقال لها (قبا) [\(2\)](#) وقام فيها عدة أيام [\(3\)](#) ينتظر قدوم الامام علي (عليه السلام) ... ولقد أصر أبو بكر على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ينتقل إلى يثرب لكنه (عليه السلام) علل بقاءه بقوله: ولست أريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عزوجل، وأحب أهل بيتي إلى، فقد وقاني بنفسه من المشركين.

والتحق الامام علي عليه السلام بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن أدى الأمانات إلى أصحابها، ولقد حاول الكفار أن ينالوا من الامام (عليه السلام) ولكنه تصدى لهم فردهم الله سبحانه وتعالى بغيظهم ووصل (عليه السلام) إلى قبا متعباً قد هدّ الأعياء واعتنقه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكي رحمة لما بقدميه من الورم وتقل في يديه وأمرهما على قدميه، فلم يستكهمما بعد حتى قتل [\(4\)](#)....

### يثرب تنتظر

كان الناس في يثرب في انتظار القائد الأعظم وقد دبت في المدينة روح جديدة وأصبح وضعها غير طبيعي ... فكأنما اليوم يوم عيد ... العيون مسممة في اتجاه قبا ... والأعناق مشربة نحوها ...

ويوم الجمعة ... هذا اليوم المبارك ... دخل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مدینته المنورة ... فاكتظت الطلائع المسلمة عليه وتحلّفت حوله ... ويا لنعمها

ص: 80

1-1 - سيرة ابن هشام : ج 1، ص 489، بحار الأنوار : ج 19، ص 88 .

2-2 - كامل التواریخ : الجزء الثاني ط بيروت 1385 ص 106، وقبا مكان يبعد عن المدينة المنورة عدة كيلو مترات فقط.

3-3 - تاريخ الطبری : ج 3، ص 1245.

4-4 - كامل التواریخ : ج 2، ص 106.

سعادة ... سعادة هؤلاء الذين نعموا بقاء سيد المرسلين (1) ...

هكذا كانت بداية قصة المدينة مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

وفي المدينة رکز (صلى الله عليه وآلہ وسلم) أسس الإسلام وارسى قواعده.

وبعد دخول النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) يثرب تغير اسمها فاصبح (المدينة المنورة).

ثم إن هذه السنة التي غادر (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فيها مكة إلى المدينة أصبحت بداية للتاريخ الهجري ... وذلك لما تحمله الهجرة من معان جليلة .... وسيظل بقاء الإسلام مديناً للمدينة ...

وستظل جهود رسول الله والقلوب التي لامس الإيمان شغافها ... فوق كل الجهد ... ومن قبل كل هذا ومن ورائه توفيق الله وتسديده ....

(ويأبى الله إلّا أنْ يُتَمَّ نورُه ولو كره الْكَافِرُونَ) .

### درس من الهجرة

والآن ... وبعد أن مضى على هذه الواقعة العظيمة أربعة عشر قرناً ... دعنا نتصفح التاريخ لتأمل الفعاليات والمشاكل التي بذلت وواجهت المسلمين في سبيل الهجرة من مجتمع لا يمكنهم أن يعبروا فيه عن آرائهم بصرامة ... ولا ان يمارسوا معتقداتهم بحرية ..

الدرس الذي يجب ان نستفيده أن هؤلاء المسلمين الذين نجوا من شر قريش ... وجو مكة المليء بالمتاعب والمصاعب وانتقلوا الى جو هادئ ... لم يركنوا الى الدعة والاستقرار ... ولم يلتجأوا الى ما مرّ بهم من نكبات في امسهم محاولين حمل الرسالة ... بل

ص: 81

---

1 - سيرة ابن هشام : ج 1 ص، 494 بحار الانوار: ج 19، ص 123 .

استمروا في الدعوة الى الله والى دينه ليكونوا المجتمع الذي اراد الله ان يكون .

ولقد كانت جهودهم المتلاحقة ... ومواقفهم الفدائية ... هي السر الذي يكمن وراء التغير السريع العجيب الذي طرأ على حياتهم وأنالهم درجة رفيعة لأنيلها الأكل ذي حظ عظيم ... ولا غرور أن استطاع المسلمين في الصدر الأول أن يحققوا هذه الانتصارات . لا غرور في ذلك مادام قائدتهم هو النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

إن من الضروري ان نغذى أبناءنا ونربيهم على أن عزة المسلمين الأوائل انما كانت في ظل الإيمان والعمل .

وإذا زر العزة فليس لها إلا هذا الطريق، أما ماعداته فإنه يجلب عزاً ظاهراً لا يلبث أن يتبدد ويزول .

اطروحة الاخوة الاسلامية

فى المدينة المنورة

ص: 83

يولد المجتمع الفاضل ويتكمّل في ظل الانسجام والتلاطم والثقة المتبادلة بين الأفراد .

ومجتمع كهذا تخيم عليه السعادة ويغمرها الهناء والسرور ... ولقد مهد الإسلام لبناء المجتمع الفاضل الذي يريده ومن أجل ذلك تخطى كل الفوارق العرقية والعنصرية وحواجز اختلاف اللغات، وقرر أن الناس سواسية كأسنان المشط، وجعل المقياس الوحيد هو التقوى .

(إن أكرمكم عند الله اتقاكم) [\(1\)](#).

و«الأخوة الإسلامية» هي خير تعبير عن تكافف المسلمين وتضامنهم...

قال تعالى (إنما المؤمنون إخوة) [\(2\)](#).

### ابتكار في ميدان الأخوة الإسلامية :

بعد أن دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة وبنى المسجد الذي هو في الواقع مركز الدعوة ومنطلقها على جميع الأصعدة، وجّه عنایته الشريفة إلى البنية الاجتماعية للMuslimين فأرسى دعائم الأخوة بينهم.

وقد كان عامل الأخوة هذا ينسى المهاجرين مرارة الهجران ويقدم لهم

ص: 84

---

1 - الحجرات : الآية 13 .

2 - الحجرات : الآية 10 .

الدليل الحق على أنهم وإن كانوا قد خسروا أهليهم ووطنهم إلا أنهم ربحوا إخواناً وفياء أوّداء .

ولأجل هذا فلم يكتف النبي ﷺ (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأخوة العامة التي تربط بين كل مسلم ومسلم ... بل آخر بين كل اثنين منهم بعقد خاص... وكان ان اختار لنفسه علياً عليه السلام أخاً وقال : هذا أخي [\(1\)](#).

وقد امتدح القرآن الكريم الأخوة الإسلامية ودلل على عظمة شأنها... قال تعالى ( وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَالْفَلَّافَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَانًا ) [\(2\)](#).

وليست الأخوة الإسلامية من وحي الخيال وإنما هي حقيقة واقعة ممزوجة بروح الإيمان، وتُتضَّح آثارها ويتجلّى الواحد تلو الآخر... وهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يوضح جانباً من هذه الآثار [\(3\)](#) « المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه لأن الله عز وجل خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى في صورهم من ريح الجنّة فلذلك هم إخوة لأب وأم ». .

وان من جملة ما تقتضيه الأخوة الإسلامية الصادقة هو أن تحب لأخيك ما تحت نفسك وأن تمد له يد العون عن أي طريق أمكنك ذلك

...

وليست من الأخوة الإسلامية بل إنه لبعيد عنها بعد ما بين الخافقين أن تبيت شبعاناً مرتويًا ... يجعلك اللباس الفاخر في حين أن إخوة لك في الدين يعانون الجوع والعطش ولا يجدون لأسمالهم البالية عوضاً .

يقول الإمام الصادق عليه السلام: من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويواري عورته ويفرج عنه كربته ويقضى دينه فإذا مات خلفه في أهله وولده [\(4\)](#).

ص: 85

1-1 - سيرة ابن هشام : ج 2، ص 504-505

2-2 - سورة آل عمران 103.

3-3 - أصول الكافي : ج 2 ص 166 - 167 .

4-4 - الكافي : ج 2 ص 169 .

والأخوة الإسلامية من وجده نظر الإسلام أقوى وأوثق من جميع العلائق ... حتى النسبية منها...

قال الله تعالى ( لَا تَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَدِّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءُهُمْ أَوْ إِبْنَاءُهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ) (1).

ولقد كان لهذا المبدأ العظيم الذي عنى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبعاده الكبيرة وأثاره الإنسانية الهامة ... فنتيجة له أصبح سلمان الفارسي وبلال الحبشي أخوين على قدم المساواة ... ومن أقرب أصحاب الرسول القائد (صلى الله عليه وآله وسلم) إليه ...

ثم إن هنالك عداوات متصلة وعميقة الجذور ... وتجمعات متفرقة متحلة ... كان هذا المبدأ سبباً في إصلاحها وإحكام بنائها ... وغرس روح التحاب والتآلف والتعاضد والتكاتف فيها حتى أصبحت البيئة التي حظيت بنعمة هذه الأخوة كأسرة واحدة كل واحد من أفرادها يشاطر الآخر أفراده وترابطه ...

وقد قلنا فيما سبق أن أخوة الإسلام مسألة روتينية وستتناول ذلك الآن بشيء من التفصيل:

يقرر الإسلام أن الأخوة فيها مسؤولية عامة ... بمعنى أن على كل إنسان أن ينفتح على مشاكل الآخرين ويسهم في حلها بمقدار ما يستطيع، ولا يصح للفرد المسلم أن ينغلق على نفسه ويعيش لهumo وشئونه الخاصة دون أن يشعر بالآخرين وملابسات حياتهم ... ومن أهم مجالات هذه المسؤولية العامة ما يلي:

1 - التعاون الاقتصادي : وهو عبارة عن سد الاحتياجات الاقتصادية

ص: 86

---

. 1 - المجادلة آية : 22

بمختلف أنواعها ... الصحية والثقافية ... وتهيئة المسكن ... ووسيلة الكسب ... وقد ورد بيان هذا المجال في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة... ضمن نظم اجتماعية في غاية الدقة والشمول.

2 - التعاون التربوي ... وهو عبارة عن أن لا يدخل المسلم وسعاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... وإرشاد الآخرين وهدايتهم ... وهذا المجال جمّ الفائدة بل لا تستقيم الحياة بدونه أبداً ... ثم إنه في الواقع نوع من حبّ الخير للناس.

ولشدید الأسف نرى أنّ المسلمين قد تركوا هذا الواجب العظيم... وأكبر الظن أنّ السبب في ذلك أوهام من نسج الخيال .. جعلتهم يعتقدون أنّهم لا يملكون القوة ولا يتمتعون بالحماية التي تتيح لهم أداء هذا الواجب.

نعم ترك المسلمين هذه السنة المباركة ... فلم يحولوا دون نفثةِ الآثام والشرور ... ولم يدعوا إلى إعمال الخير ويرغبوا إليها ... فكان أن ذابت الروح التربوية للأخوة الإسلامية وذابت ... فقدت من جراء ذلك كل الخصائص التي تبعث في هيكل المجتمع الحياة .

### **الأخوة الإسلامية في عصرنا الحاضر:**

إن المسلمين في العصر الحاضر بحاجة إلى التأخي والاتحاد أكثر من إلى عصر مضى وذلك لأن هذه المنطقة من العالم والتي يطلق عليها اسم العالم الإسلامي منطقة غنية جداً بثرواتها الطبيعية إن لم نقل أنها المنطقة الوحيدة في العالم التي تتمتع بهذه الخصائص، وقد لفتت كثافة الشروط الطبيعية التي من الله سبحانه بها على وطننا الإسلامي انتشار المستعمرين من أعداء الإسلام ... فأصبح همّهم الوحيد خيرات هذه المنطقة ... الأمر الذي جعلهم يخططون لتفريقنا ولقاء الفتنة بينما لأنّهم يعلمون أن اختلافنا

وتناحرنا يفتح لهم الباب على مصراعيه ويمكنهم من نهب خزائن نعمة الله في بلادنا.

إن علينا أن نكون أذكياء متيقظين لنقطع الطريق على كل المحاولات التي تستهدف إبقاءنا أمّة ممزقة...

والخطوة الأولى التي لابد لنا منها هي بناء الأخوة الإسلامية التي أرسى دعائهما النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومهما عظمت قوة المسلمين فإنهم سيظلون بحاجة الى التأسي والاتحاد، وبما أن المسألة على هذا الجانب من الأهمية فأن من الواجب أن يدرس مبدأ التأسي في الله في مدارسنا بشكل يستهوي الطلاب.

وشيء جيد لو يدرس هذا المبدأ السامي في المرحل الدراسية الثانوية والجامعية ويطبق علمياً تحت إشراف مدرسين أكفاء والى جانب واجب المدرسة ... فإن على البيت أن ينشيء طفله نشأة إسلامية صحيحة ... فيحسّسه بالآم الآخرين بالمستوى الذي يتاسب مع مستوىه .

وليكن شعارنا:

### نحو أخوة إسلامية جديدة ..

وليكن عملنا في طريق احراق وحدة المسلمين وتأخيمهم وصيروتهم يداً واحداً على الكفار في ارجاء العالم .

وقد ظهر نموذج من تأثير الأخوة الإسلامية في انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة قائدتها العظيم الإمام الخميني حينما رفض الشعب المسلم الایرانی في ظل التعاون والتآخي حکومة الطواغيت وصار يعيش تحت لواء الإسلام وخرج عن سلطة الشرق والغرب منادياً بشعار التوحيد والله اکبر ...



بعث النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) ورافعاً علم السلام والأخوة حتى استطاع في النهاية وعن طريق شعار (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [\(1\)](#) أن يحكم دعائم السلام العالمي والتعايش السلمي الصحيح لا المزيف.

الإسلام ... استطاع أن يجتاز مشاكل الصراعات الطبقية والعنصرية التي كانت عاملاً محركاً في كثير من الحروب ... وقدم لهذه المشاكل أفضل الحلول ... أمّا دنیانا اليوم رغم ما فيها من مظاهر التمدن، فإنّها لم تستطع حتى الآن أن تجد لها مخرجاً من هذه الأزمة التي تهدّد وجودها ... ولذلك نرى نيران الحروب دائمة الضراهم.

ولقد بلغ السلم والعدالة في الإسلام درجة من الوضوح والصراحة بحيث إنه دعي «أهل الكتاب» [\(2\)](#) إلى الاتحاد، قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٌ يَبْيَنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُسْرِكُ بِهِ شَيْئاً ..) [\(3\)](#).

وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة ورفقت راية النصر فوق رؤوسهم، قدمت إلى النبي صلي الله عليه وآله طلبات إبرام صلح من

ص: 90

1 - سورة الأنبياء : 107 .

2 - أهل الكتاب اصطلاح يراد به أصحاب الأديان السماوية، وإنما أطلق عليهم ذلك لأن لكل اتباع دين منهم كتاباً منزلأً من الله سبحانه وتعالى .

3 - سورة آل عمران : آية 64 .

بعض الجهات قبلها ... والشاهد لذلك عقود الصلح التي أبرمت مع عدة طوائف من اليهود في السنة الأولى للهجرة (1). من هذا ومن غيره يستطيع الباحث أن يدرك أن الإسلام يريد للبشرية الدعة والاستقرار ... ولذا فهو يركز على الصلح والتعايش الاجتماعي ... ولذلك أيضاً قدم في هذا الميدان النظم والقوانين الكفيلة - ان طبقت بدقة بایجاد مثل هذا المجتمع الذي أصبح في عصرنا الحاضر حلمًا جميلاً يدخل في الخيال، والذي يجري في الجمهورية الإسلامية في إيران - منذ أشرت الثورة الإسلامية فيها إنما هو محاولة لوضع اللبنة الأولى للمجتمع الإسلامي الذي نأمل أن تتجه جميع الطاقات الإسلامية لتحقيق

هذا المجتمع الأصيل .

أهداف الجهاد :

الإسلام مدرسة حية وعالية وهو يتکفل بإصلاح النظم الاجتماعية

والاقتصادية بطريقته الخاصة

والإسلام ليس كقوانين الروم القديمة والميهد ...

التي كانت مختصة بمجتمع أو عنصر معين بل إن الإسلام دين لجميع أهل الأرض ... وال المسلمين ملزمون بوحي من تعاليم دينهم أن يعملوا على إرساء قواعد الصلح والعدل وأن يبذلوا كل ما في وسعهم لإنقاذ الشعوب المستعبدة مما تعاني من ظلم و حرمان...

إنّ على المسلمين أن يعملوا على توعية العالم وهدايته إلى طرق

الخير التي تؤمن له حياة حرة كريمة .

1 - اعلام الورى الطبعة الثالثة سنة 1390 ص 69 .

ص: 91

ومن هنا يجب أن يكون واضحًا أن المجاهدين المسلمين ليسوا حين جهادهم - بقصد احتلال بقعة من الأرض وضمها إلى العالم الإسلامي ...

كما أنّهم ليسوا بقصد قلب نظام حكم أو ما شابه ذلك ...

ان الجهاد سعي مخلص لا تشوّبه شائبة ... جهد مشكور يبذل في سبيل الله وتحرير عباده ... لترسيخ السلام وإخماد نار الفتنة.

هذا الهدف الكبير ... وهذه التعليمات السامية من شأنها ان تقضي على الأنانية وحب الذات والروح النفعية التي كلفت البشرية الكثير الكثير على مر التاريخ.

والفطرة الإنسانية تحكم بأن الأعضاء الفاسدة في المجتمع أيًّا كانت امیازاتها التي أعطتها لنفسها يجب أن تستأصل ... لتومن الأرضية الصالحة السعادة الناس ونجاتهم.

ولا شك أن كل متعطش إلى العدالة والحرى بمفهومها الصحيح يبادر إلى أداء واجبه في هذا المضمamar ويقف مؤيداً كل خطوة تبذل في هذا السبيل .

ما أجمل كلام الله:

(... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِيَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [\(1\)](#).

ليست الحرب في الإسلام غاية ... ولا هدفًا نهائيا ... وإنما هي وسيلة ردع للأقوباء الذين لا يسمعون لغير القوة صوتاً ... وسيلة رفع الظلم عن المظلومين الذين لا يملكون ما يدافعون به عن وجودهم ... ولهذا - أي لأنهم عزل ضعفاء - أضحو غنيمة الاستعباد والطغيان ...

ص: 92

الجهاد في الإسلام عمل جليل إيجابي لخير البشرية ... وهو أبعد ما يكون عن السلبية والشر والدمار.

وأقرأ معي ما قاله ذلك المسلم حين دخل على رستم القائد الإيراني فخاطبه بالعبارة التالية: (الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منّاذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركتناه وارضه يليها دوننا و من أب-ي قاتلناه أبداً ...)[\(1\)](#).

## هل انتشر الإسلام بالسيف؟

أصبح واضحاً مما تقدم أنّ من واجب المسلمين أن يتصلوا بالشعوب الأخرى ويمتّوا علاقتهم بها. خصوصاً تلك الشعوب التي تعاني من أوضاع اجتماعية متداigne. وقلنا إنّ من واجب المسلمين ذلك كي يمكنهم عن هذا الطريق عرض ما جاء به الإسلام من نظم رائعة منبثقه عن عقيدة متنية، تستوعب الكون والإنسان والحياة ...

وفي كل الصراعات التي خاضها المسلمون مع أهل الكتاب لم يسجل لنا التاريخ أنهم أجبروا أحداً على اعتناق الإسلام ...

فلقد كان باستطاعة أهل الكتاب أن يعيشوا في ظلّ الدولة الإسلامية بمجرد أن يقبلوا شروط الصلح التي تعرضها هذه الدولة ... وفي المقابل تؤمن لهم الحماية التامة التي تومنها للمسلمين.

ولقد تعهد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلح الحديبية بأنه إذا أسلم أحد من أهل مكة ثم جاء إلى المدينة ... فإنه سيرجعه إلى مكة بشرط ان المسلمين

ص: 93

---

1 - تاريخ الطبرى : ج 5 ص 2271 .

بمكة لا يؤذون في اظهارهم الإسلام ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام قبل قريش ذلك (1) وقد التزم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعهده هذا وعمل به.

وفي فتح مكة ترك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قريشاً على سجيتها ولم يحمل أحداً على اعتناق الإسلام . فالعقيدة لا تفرض بل لا يمكن أن تفرض من الخارج ... كل ما في الأمر أن المجال كان مفسحاً أمام الجميع لمعرفة هذا الدين الجديد والاطلاع على تعاليمه.

وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين أن لا يقتلوا أحداً في مكة باستثناء عدة أشخاص كانوا يؤذون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (2).

وعندما كان الكفار يطلبون الأمان من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعطيهم ما أرادوا ليكون إسلامهم فيما بعد عن بحث وتحقيق ... وليس بداع الخوف على أنفسهم .

ومثلاً على ذلك صفوان بن أمية وكان أيضاً شديداً على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهرب خوفاً إلى جدة فقال عمير بن وهب الجمحي: يا رسول الله إنّ صفوان سيد قومي وقد خرج هارباً منك فآمنه . قال هو آمن وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها أمانه، فخرج بها عمير فأدركه بجدة فأعلمه بأمانه وقال: إنه أحلم الناس وأوصلهم وأنه ابن عمك وعزّه عزّك وشرفه شرفك. قال : إني أحافه على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك، فرجع صفوان وقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن هذا يزعم انه آمنتني. قال: صدق. قال: أجعلني بالختار شهرين قال: انت فيه أربعة أشهر، فأقام كافراً وشهد معه حنيناً والطائف ثم أسلم (3).

ص: 94

1-1 - البحار : 20 ص 350 .

2-2 - اعلام الورى : ص 110 .

3-3 - الكامل لابن الأثير : ج 2 ص 248 - 249 .

وهكذا يصبح واضحاً أن الحرب في الإسلام إنما هي لأولئك الذين عرّفوا الحق جيّداً وأدركوه بجلاء ... ولكنهم مع ذلك كله يحاربونه ويحاولون القضاء عليه، والأمر الذي يعتبر أيضاً قضاء على سعادة الآخرين.

إن الإسلام لم يشرع تجريد السيف إلا لإطفاء الفتنة وإنقاذ الشعوب المضطهدة ولا يجاد المناخ الملائم للتكامل البشري المنشود.

وأنّ إيمان المسلمين الأوائل واستقامتهم خير دليل على أن الإسلام لم ينتشر بقوّة السيف .

لقد كان مسلمو الصدر الأول للإسلام شديدي التعلق بدينهم وكانوا يواجهون جميع المشاكل التي تعترض مسيرتهم بروح عالية ...  
ويصيّر لا مثيل له .

وأحد من هذه الطليعة بلال الحبشي الذي كان أبو جهل - بعد ما علم بسلامه - يطرحه على رمضان المحرقة، ويضع فوقه صخرة كبيرة ...

رمضان محرقة ... وثقل مؤلم وهجير لافح ... وأبو جهل يزمع : أَكْفَرْ بِرَبِّ مُحَمَّدٍ ... فَمَاذَا كَانَتْ النَّتِيْجَة...؟

وتتصفح أبي جهل كلمات ينطق بها هذا الإنسان المعدّب ... أحد ... أحد... أحد [\(1\)](#)

هذه صورة نقدّها عن الاستقامة التي كان المسلمين الأوائل يتحلّون بها ... فهل باستطاعة أحد بعد ذلك أن يقول إنّ الإسلام انتشر بالسيف؟ لقد فات أعداء الإسلام الذين يروّجون هذه الشبهة الواهية التي ظلّوا - بعد بحث وتقدير - أنها نقطة الضعف في الإسلام ... لقد فاتتهم أنّ هذا الدين الخالد إنما ينتشر لمقومات وخصائص فيه .... فهو دين الفطرة ... وهو دين

ص: 95

---

1-1 - أسد الغابة : ج 1 ص 206 .

العدالة ... ثم هو دين شامل لجميع نواحي الحياة.

فهذا الدكتور غوستاف لوبيون يعجب بمسيرة الإسلام وتقديره السهل المحيّر، وبخلوده في كل بقعة دخلها المسلمون، ويعتبر ذلك من خصائصه<sup>(1)</sup>. ويقول كاتب مسيحي آخر:

قد كان للروابط التجارية والثقافية بين البلاد الإسلامية وغيرها أثر في انتشار وتوسيع المد الإسلامي يفوق الفتوح العسكرية بمراحل.

ص: 96

---

1 - الحضارة الإسلامية والعربية : ص 807 .

د الواقع حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

واحصاء القتلى فيها

ص: 97

كان النبي الأعظم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لا يلْجأُ إلَى السيف إلَّا إِذَا طَلَّبَتِ الظَّرُوفَ ذَلِكَ، حِيثُ تَقْفَ الْعَقَبَاتِ حَاثِلًا دُونَ تَقْدِيمِ الدُّعَوَةِ  
الإِسْلَامِيَّةِ... وَحِيثُ يَكُونُ الظُّلْمُ وَالْاسْتِبْدَادُ... حِينَئِذٍ يَأْتِي دورُ السِّيفِ لِيُزِيلَ الْعَقَبَاتِ وَيُمْحِيَ الظُّلْمَ... وَيُرِفِعَ رَأْيَةَ الْحَقِّ وَالْعَدْلَةِ...

وَهَكُذَا كَانَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عَلَى العِكْسِ تَمَامًا مَمَّا نَعْرَفُهُ مِنْ مَسِيرَةِ الْأَغْلِبِيَّةِ مِنْ قَادِهِ الْعَالَمِ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ لِأَغْرَاضِ تَوْسُّتِهِ  
وَلَا مُنْتَصَاصِ الْثَّرَوَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْإِنسَانِيَّةِ...

أَجَلٌ... إِنَّ الْحَرُوبَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كَانَتْ تَسْتَهْدِفُ إِعَادَةَ الْحَقِّ إِلَى نَصَابِهِ وَإِزَاحَةَ تَلْكَ الطَّبَقَةِ  
النَّفْعِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَسْتَعْبُدُ عِبَادَ اللَّهِ، وَتَسْتَهْدِفُ أَيْضًا إِقَامَةَ حُكْمِ عَادِلٍ مُنْصَفٍ يَحْقِقُ أَطْرَوْحَةَ التَّعَايُشِ الدُّولِيِّ الْمَنشُودِ.

وَحَرْبٌ كَهُذِهِ هُلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ عَدْوَانِيَّةً لَا مَشْرُوعَةً؟! إِنَّ مَنْ الْبَدِيِّيِّ أَنَّ الْحَرُوبَ ضَرُورَيَّةً لِكُلِّ نَبِيٍّ لِأَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ يُمْكِنُهُ  
سُلُوكُهُ إِذَا جُوْبِهِ وَحُورُبَ.

إِنَّ النَّبِيِّ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمْ يَجْرِدْ السِّيفَ لِأَنَّ مَدَّةَ نَبِيَّتِهِ كَانَتْ قَصِيرَةً وَلَمْ

تكن الشروط مساعدة له على ذلك ... ولو لا ذلك لكان هو أيضاً قد اتبع نفس الأسلوب الذي اتبعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقتلع الفساد من الجذور.

ومن هنا فإن حركات التبشير المسيحية تتغنى وتخطب حين ترکز على أعداد القتلى في حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتضخمها حسب ما تشهي. وتؤكد على أن هذه الحروب كانت ذات طابع إجرامي، ونحن نرى أن الهدف من هذا الاعتساف شيئاً:

الأول : إضعاف الروح الثورية في الشعوب الإسلامية، الأمر الذي ينتج عنه تقلص المدى الإسلامي الذي يتسع يوماً بعد يوم.

الثاني : محاولة يائسة لتبرير الجرائم الفاحشة التي ارتكبها زعماء الكنيسة فيمحاكم التفتيش وفي حروب الصليبيّة حين قتلت الملايين من الأبرياء .

وسنحاول هنا أن نبين باختصار دوافع حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد ذلك نقدم ثبتاً بأعداد القتلى لكي تتضح الحقيقة ... وليدرك القراء الأعزاء فلسفة هذه الحروب ويطلعوا على الرقم العادي الذي يشكله عدد القتلى.

## ١ - حرب بدر :

بقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أصحابه بعدبعثة ثلاثة عشر عاماً في مكة يتحمل الأذى في جنب الله متجلباً إراقة الدماء ... وفي النهاية اضطر (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن يغادر مسقط رأسه ويهاجر إلى المدينة المنورة ... ولكن مع ذلك لم يكف الكفار عن ايزاته ... وكانوا يعتذبون المسلمين العزل ولا يسمحون لهم بالهجرة من مكة [\(١\)](#).

ص: 99

---

١ - بحار الانوار: ج 19، ص 143

وكانوا أيضاً قد صمّموا على أن يضرروا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه حصاراً اقتصادياً شديداً . ومنعوا القوافل من نقل المواد الغذائية إلى المدينة ... ولقد استمر هذا الحصار زمناً طويلاً... مما أوقع أهل المدينة في ضائقـة وعسر واضطـرـهم للسفر إلى سواحل البحر الأحمر للحصول على المواد الغذائية الـلازمـة [\(1\)](#).

وكان أبو جهل قد أرسل رسالة شديدة اللهجة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهـددـهـ فيها بـغـزوـهـ والـهـجـومـ عـلـيـهـ [\(2\)](#).

### و هنا نزلت الآيات الكريمة:

(أَذِنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِيَعْصِي لَهُدِمَتْ صَوَامِعٌ وَبَيْعٌ وَصَلَواتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَيَنْصُرُنَّ اللَّهَ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [\(3\)](#).

ولأجل الدـفاعـ عنـ الحقوقـ الحـيـاتـيةـ لـلـمـسـلـمـيـنـ ...ـ ولـكـيـ يـفـوتـ النـبـيـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ)ـ الفـرـصـةـ عـلـىـ المـشـرـكـيـنـ،ـ خـرـجـ لـمـواـجهـةـ قـرـيـشـ فـيـ الـعـامـ الثـانـيـ لـلـهـجـرـةـ ...ـ وـتـمـتـ المـجاـبهـةـ فـيـ بـدـرـ [\(4\)](#)ـ،ـ معـ أـنـ الـمـسـلـمـيـنـ كـانـوـ ثـلـثـ الـكـفـارـ عـدـدـاًـ قـدـ أـحـرـزـواـ التـصـرـ بـقـوـةـ الإـيمـانـ وـإـرـادـةـ اللـهـ سـبـحـانـهـ [\(5\)](#)ـ.

ص: 100

1-1 - محمد ستاره ای که در مکه در خشید (فاسی) : ص 92 .

2-2 - بحار الأنوار : ج 19، ص 265 - 266 .

3-3 - الحج : 39 - 40 .

4-4 - بدر منطقة بين مكة والمدينة ... وتبعـدـ عنـ المـدـيـنـةـ حـوـالـيـ (170)ـ كـيلـوـ متـراـ ..

5-5 - الكامل : ج 2، ص 118، اعلام الورى ص 76 .

## 2 - حرب أحد:

بعد أن قتل في بدر عدّة من المشركين أخذت قريش تعد العدة للانتقام ... وجهزت جيشاً إلى المدينة وفي منطقة «أحد» تمت المواجهة بين جيش الإسلام والكفر ... وأنه فئة من المسلمين لم تلتزم بالخطبة التي كان قد وصفها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يربح المسلمون المعركة [\(1\)](#).

## 3 - الأحزاب - الخندق :

في السنة الخامسة للهجرة ذهب عدّة من يهود بنى النضير إلى مكة لتحريض قريش على المسلمين ... واغتنمت قريش الفرصة فجهّزت جيشاً جراراً من قبائل مختلفة

ولكي يؤمّن المسلمون الحماية الكاملة لعاصمتهم اضطروا أن يحفروا خندقاً حول المدينة وكان جيش المشركين مؤلّفاً من عشرة آلاف رجل ولكن هزم بعد أن قتل عليٰ [\(عليه السلام\)](#) قائده الشرس عمرو بن عبد العامري وكان النصر بإذن الله للمسلمين [\(2\)](#).

## 4 - بنو قريظة :

كان بنو قريظة [\(3\)](#) قد عقدوا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معايدة صلح ، ولكنهم نقضوها وحاربوا في وقعة الأحزاب إلى جانب قريش ... ولم ير النبي [\(صلى الله عليه وآله وسلم\)](#) بذلك لخطرهم على الإسلام بعد أن نقضوا العهد وأصبحوا محاربين، وأصدر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمره للجيش بعد حرب

ص: 101

---

1-1 . الطبقات القسم الأول : ص 25 - 29

2-2 . الطبرى : ج 3 ص 1463 - 1476 .

3-3 . من يهود أطراف المدينة .

الخندق بالتوجه إليهم ... وحاصرهم المسلمون خمسة وعشرين يوماً، وبعدها استسلم الأعداء ...

وجاءت الأوس تطلب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصفح عنهم، فسألهم عما إذا كانوا يرضون بتحكيم سعد بن معاذ الذي هو من كبار الأوس فيهم فقبلوا ... ظناً منهم أن سعداً سيغفو عنهم ... ولكنه بدلاً من ذلك حكم بقتل المحاربين من رجالهم، وتقسيم أموالهم، وسيبي الذراري والنساء .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله،[\(1\)](#) وقتل كل المحاربين منهم .

## 5 - حرب بنى المصطلق

بنوا المصطلق قنة من قبيلة خزاعة . وكانوا قد نازوا المسلمين ... وقد بلغ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) تآمرهم على الاسلام فتوّجَه إليهم بجيشه من المسلمين ليحول دون تنفيذ مخططاتهم ... وتمت المواجهة معهم في مكان اسمه المريسيع وكان النصر للMuslimين . وقد وقعت هذه الحرب في السنة السادسة للهجرة.[\(2\)](#)

## 6 - خيبر :

في حصون خيبر كانت تعيش طائفة كبيرة من اليهود يبلغون أربعة عشر ألفاً وكان لهم مع كفار قريش روابط اقتصادية وعسكرية ، وكان ذلك يهدّد أمن المسلمين وسلامتهم ولذلك هاجمهم المسلمون في السنة السابعة للهجرة، وبعد المحاصرة وال الحرب استسلموا للدولة الإسلامية[\(3\)](#).

ص: 102

1-1 - الطبرى : ج 3 ص 1487 - 1493 .

2-2 - الكامل لابن الأثير : ج 2، ص 192 .

3-3 - الطبقات : ج 2 ص 78-77 .

في السنة الثامنة للهجرة أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحارث ابن عمر إلى ملك بصرى (1) وحمل رسالة إليه، وعندما وصل رسول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مؤقة

قتل ، وامر النبي المسلمين بالخروج لحرب العدو وكانت المواجهة في مؤقة مع جيش هرقل ملك الروم المؤلف من مائة ألف مقاتل من الروم وغيرهم. ودارت حرب شديدة طاحنة قُتل فيها قادة الجيش الإسلامي زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ... ولم يستطع المسلمون مواصلة القتال فرجعوا إلى المدينة (2) .

#### 8- فتح مكة :

في صلح الحديبية عقدت معايدة بين المسلمين والمشركين على المشركين بموجبها أن لا يتعرّضوا للمسلمين ولا لحلفائهم ولكنهم نقضوا هذه المعايدة وانقروا مع بني بكر على إيادة بني خزاعة الذين كانوا من معااهدي المسلمين وحلفائهم، ولكي يضع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حدأً لهذه التجاوزات وضع خطة لفتح مكة ... ونفّذت الخطة ... ودخل المسلمين هذا البلد الشريف ... وفي بيت الله الحرام قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خطابه التاريخي :

«ألا- لبئس جيران النبي كتم: كذبتم وطردتم وأخرجتم وفللتكم ثم مارضيتم حتى جئتموني في بلادي فقاتلتمني، فاذهبا فأنتم الطلقاء؟  
فخرج القوم كأنما نشروا من القبور» (3).

ص: 103

1-1 - موضع بالشام .

2-2 - الطبقات : ج 2 القسم الأول، ص 92 - 94 .

3-3 - اعلام الورى : ص 104 - 112، بحار الأنوار: ج 21 ص 106 .

وقد كان من آثار التسامح والعفو العظيم أن أقبل المكيّون على دين الله أفواجاً أفواجاً .

وفي هذا الفتح أمر النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) المسلمين ان لا يحاربوا إلا دفاعاً عن أنفسهم ولكنه أباح دم ثمانية من المشركين ... وقتل منهم أربعة ... ولم تقع مجابهه إلا بين مجموعة من المسلمين كان يقودها خالد ومجموعة أخرى من المشركين كان يقودها عكرمة بن أبي جهل ... وقتل فيها عدّة أشخاص [\(1\)](#).

## 9 - حنين - هوازن :

مع أن قبيلة هوازن كانت تعلم أن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) لا ينوي التعرّض لها فقد جهزت جيشاً لحرب الإسلام ... فجهز النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) جيشاً قوامه إثنا عشر ألف مقاتل ... وبعد التقاء الجيшиين في وادي حنين هزم الكفار واستسلموا [\(2\)](#).

وبعد هذا الحرب قصد النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) الطائف لحرب قبيلة ثقيف التي كانت تعاونت مع هوازن على حرب المسلمين ... وبعد مدة من محاصرة ثقيف صرف رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) النظر عن فتح ديارها وعاد إلى مكة [\(3\)](#).

وغير هذه الحروب كانت سفرات تبليغية ومواجهات محدودة ... وها نحن نقدم إحصاء بالقتلى المسلمين والكافرين في جميع الحروب التي دارت في زمان النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) . معتمدين على المصادر التاريخية المعروفة.

(انظر الصفحة التالية)

ص: 104

1-1 - الكامل لابن الأثير : ج 2 ص 247-250 .

2-2 - بحار الانوار : ج 21، ص 149 .

3-3 - السيرة لابن هشام، القسم الثاني : ص 482 .

الصورة

□

ص: 105

1 - عند اعداد هذا الإحصاء أخذنا بالحد الأكثـر عند اختلاف الروايات وحيث لم نتمكن من تعـين العدد تركـنا المكان خالياً .

2 - «تاريخ الخميس» الذي جعلناه أحد مصادرنا هنا عبارة عن مجموعة منتخبـة من عشرات الكتب في التفسير والتاريخ والحديث.

ولاشك أن القاريء العزيز قد لاحظ أن حروب النبي (صلـى الله عليه وآلـه وسلم) لم تكن بهـدف التوسيـع والاعتداء وإنما كانت كل هذه الحروـب لوضع الحـد لناقـضـي العهـود المعـتـدين ... ولـحفظ استقلـالـ المسلمين ... والـدـفاع عنـهم ... ولـإعلـاءـ كـلـمةـ الحق .



ظهر الإسلام منذ يومه الأول كالمعين الصافي الزلال، ثم أخذ ينمو ويتسع أكثر فأكثر إلى أن بدا كالنهر العظيم المتدفق يسقي الإنسانية في مختلف بقاع الأرض فieroها .

وكان الإسلام كلما انتشر ازداد اتساعاً وعمقاً وقد استطاع بصدق أن يخلص البشرية من كل الأنظمة الخاطئة ويرشدها إلى طريق الخير والسعادة . وقد استمر في الانتشار بالرغم من السياسات الاستعمارية العالمية وبالرغم من النشاطات التحريرية التي كان يقوم بها أعداء الإسلام من أجل القضاء على جذوره . ويتمتع الإسلام بكثير من المقومات ومنها الخلود والعالمية، وعلى أساس هذين الأمرين العظيمين وضع قوانينه وتشريعاته .

ان خاصية الإسلام الكبرى هي مطابقة للفطرة البشرية التي تلامس قضايا الناس جميعاً في كل مكان أو زمان ويقوم عليها أساس حياتهم. وبناءً على هذا فإن الذين يقولون: ان الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن لنبي شرقي أن يقوم بقيادة الغرب، من يدعى هذا فهو مخطيء خطأ شديداً لأنه لا فرق بين الشرق والغرب من جهة الفطرة، فكما أن الإنسان الشرقي يحتاج إلى دين فطري كذلك الغربي أيضاً.

## من مكة دعى النبي العالم الى الإسلام:

عندما أطلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شعار التوحيد في فضاء مكة المظلم لم يكن قصده (صلوات الله عليه) أن يصلح منطقة الحجاز والمنطقة العربية ... بل كان مأموراً أن يبدأ رسالته العالمية من المحيط العربي ...

والشاهد على ذلك ما قاله في بدء دعوته مخاطباً عشيرته الأقربين .

(إني رسول الله إليكم خاصة والى الناس عامة)[\(1\)](#).

ويؤيد هذه الحقيقة من القرآن الكريم عدة آيات نذكر منها ثلاثة:

1 - قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جمِيعاً[\(2\)](#) .

وأنت تلاحظ أن الخطاب لم يستعمل كلمة (العرب) أو (الشرقين) وإنما الخطاب يشمل جميع الناس من شرقين وغربين .

2 - وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين[\(3\)](#)

3 - وأوحى حي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن يبلغ[\(4\)](#)

يظهر جلياً من هذه الآيات أن رسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عالمية، ولم تكتسب هذه الصفة - بعد ذلك - في المدينة عند انتشار الإسلام بل كانت منذ ابتدائها شاملة لجميع الأزمنة والأمكنة .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) الجواباً للرجل الذي سأله : مباب القرآن لا يزداد على النشر والدرس الألاعضاً؟ فقال:

لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيمة[\(5\)](#).

ص: 109

---

1-1 - كامل التواریخ : ج 2، ص 61، طبع بيروت سنة 1385 .

2-2 - سورة الأعراف : الآية 158، يذكر في مجمع البيان : ج 4 ص 339، إن هذه الآية نزلت في مكة.

3-3 - سورة الأنبياء : 107 .

4-4 - سورة الأنعام : 19 .

5-5 - سفينة البحار : ج 2، ص 13 .

## شاهد آخر على عالمية الإسلام :

في السنة السادسة من الهجرة أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رسائله إلى حكام العالم ووسمها بكلمة (محمد رسول الله) ودعاهم إلى الإسلام، ومعنى هذه الرسائل واحد وهو الدعوة إلى عبادة الله والوحدة والتآخي في ولأن هذه الدعوة كانت بأمر من الله وإنذاراً للناس فقد أثرت فيهم أثراً عميقاً وملفتاً للانتظار بحيث قبل هذه الدعوة كل باحث عن الحقيقة كالنجاشي والمقوقس وغيرهم [\(1\)](#).

وتدل التحقيقات التي أجريت حول الرسائل التي أرسلها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الملوك ورؤساء القبائل وأصحاب الأديرة أنها تزيد على اثنين وستين رسالة نعرف منها 29 رسالة [\(2\)](#) ونحن نذكر بعضها:

1 - لكسرى ملك الفرس:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس.

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الحق فاني أنا رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبىت فعليك إثم المجوس [\(3\)](#).

2 - اهرقل ملك الروم:

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فاني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك إثم الاريسين [\(4\)](#).

ص: 110

1-1 - كامل التواریخ : ج 2، ص 210.

2-2 - مکاتیب الرسول : ج 1 ص 41 - 35 وص 182 - 90 .

3-3 - مکاتیب الرسول : ج 1، ص 90 .

4-4 - اختلف العلماء في ضبط هذه اللفظة، ومحصل ما قالوا في معناها انهم كانوا قوماً عرفوا بالاثم

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَزْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُوا فَقُولُوا اسْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ). (١)

ولم تكن رسائل النبي ﷺ (صلى الله عليه وآله وسلم) منحصرة في الملوك فقط ولكن كان يرسلها إلى الشعوب وأصحاب الديانات المختلفة كي يطلعوا على بزوج شمس الإسلام.

### 3- الى والي اليمن هودة:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد رسول الله إلى هودة بن على سلام على من اتبع الهدى وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحاfer - أي حيث تقطع الأبل والخيل - فأسلم وسلم واجعل لك ماتحت يديك [\(2\)](#).

4 - الى اليهود: بسم الله الرحمن الرحيم ؛ «من محمد رسول الله» (صلى الله عليه وآلله وسلم) أخي موسى وصاحبہ بعثہ الله بما بعثہ به اني اشدقکم بالله وما أنزل على موسى يوم طور سیناء، وفلق لكم البحر وأنجاكم وأهلك عدوکم وأطعمکم المن والسلوى وظلل عليکم الغمام هل تجدون في كتابکم أني رسول الله اليکم والى الناس كافة فان كان ذلك كذلك فاتقوا الله وأسلموا وان لم يكن عندکم فلا تباعۃ عليکم (3).

5 - الـ، أـسـقـفـ نـجـرانـ:

باسم إله إبراهيم واسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله إلى اسقف نجران ... أما بعد فاني أدعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم الى ولایة الله من ولاية العباد فان أبیتم فالجزية فان أبیتم

(4)

111:

- 1 - مکاتیب الرسول : ص 105 .
  - 2 - السیرة الحلبیة : ج 3، ص 286 .
  - 3 - مکاتیب الرسول : ج 1، ص 172 .
  - 4 - بین الروم تلك الأيام .

### وظيفتنا في تبليغ الإسلام:

إن تقدم الإسلام مدين قبل كل شيء لجهود النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) المتالية وسهره الدائم هو وأصحابه الأوفياء، وقد استفاد النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) في ذلك من قوتين هما:

الأولى: المبلغون الذين أدركوا حقيقة الإسلام والذين كان لهم صلة متينة بالنبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) وايمان عميق به.

الثانية: الرسائل التي كانت تدل على تعاليم حياة أفضل وتعكس الإسلام بشكل واضح. وبالرغم من عدم وجود الرسائل اللازم تبليغ الإسلام عند النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) فقد أرسل رسالته إلى أنحاء العالم.

ولاشك أن روح النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) تنتظر من المجتمع الإسلامي أن يبلغ رسالة الإسلام ويستفيد من الوسائل الجديدة وأسلوب في ذلك لينشر تعاليم الإسلام في العالم كله.

يجب علينا أن نوظف كل امكانية نملكها من أجل تبليغ الرسالة الإسلامية التي هي عامة لكل الناس كما تقدم . ويجب أن لا نأسف على بذلك ما يلزم في هذا الطريق من التضحيات لنشر الإسلام كي نهدي إخواننا في الشرق والغرب إلى المعين الذي يمدهم بالحياة . ونعيش وبالتالي في دنياً ملائكة بالفضيلة والخدمة تماماً كما قال النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) لعلي (عليه السلام).

«وَأَيْمَ اللَّهُ لَا يَهْدِي إِلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرٌ لَكَ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ وَلَكَ وَلَاهُ يَا عَلَى» [\(2\)](#).

\*\*\*

ص: 112

1-1 - البداية والنهاية : ج 5 ص 53 .

2-2 - بحار الأنوار: ج 21 ، ص 361 .

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الانبياء

من المخلصي معة عن با

ص: 113

خاتمية النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كوحدانة الله سبحانه من المسلمين والحقائق الواضحة عند جميع فرق المسلمين. والدين الإسلامي يبقى جديداً أبداً وكلما اتسعت آفاق البشرية واتضحت رؤيتها وتحددت، اتضحت خلود هذا الدين وظهرت عجائبه.

وسنحاول هنا ان نتناول هذه المسألة المهمة ... أبداً لهذا الدين وخلوده ، وفي البداية سنذكر أهم العلل والمقومات التي تجعل المبدأ أبداً  
ثم ننتقل الى تقصي ذلك في الإسلام :

1 - انسجام المبدأ مع الفطرة من أهم علل أبديته فالدين الذي يتركز على أساس من فطرة الإنسان وواقعه يحفظ نفسه من الاندثار ... ويؤمن  
أسباب خلوده وصلاحيته لكل زمان رغم ما يحدث من تطورات وما يستجد من مشاكل .

2 - حينما تكون نصوص المبدأ مرنة يكون عمرها أطول منه حين مالا يكون كذلك ... لأنها عندما تكون مرنة غير مرتبطة بزمان أو مكان ...  
ولا ذات طابع خاص يمكن أن تلبي الحاجة التشريعية رغم تبدل الأزمنة

والإمكانات ... وتبقى حية كأنها وضعت ل تعالج المشاكل المعاشرة فعلاً.

أما القوانين التي لا تتصف بالمرنة والتي وضعت لحالة خاصة ووقت معين، فلا يمكن أن تتأل حظاً من البقاء ... فمثلاً اذا قيل: أن على  
الناس أن لا يستعملوا في تقليلهم إلا وسائل النقل الطبيعية كالفرس وما شابهه من الحيوانات الأخرى . فإن هذا القانون لا يمكن له أن  
يدوم، وذلك لأن الحاجة الملحة تفرض على الناس أن يستعملوا وسائل نقلية أخرى تم صنعها والاحتلاء إليها وهذه الوسائل توفر وقتاً  
وجهداً إلى غير ذلك .

والواقع ان احدى العلل التي بسببها اندثرت الأديان القديمة هي أنها لم تكن تملك قابلية البقاء ... وكانت خاصة بمجتمع معين في وقت معين.

3 - الشمول . الدين الخالد لابد وأن يكون شاملًا كاملاً بمعنى أنه لا يترك واقعة من وقائع الحياة إلا ويضع لها حكمًا ... ولا يترك مشكلة المشاكل إلا ويقدم لها حلًا ... ولا مسألة من المسائل التي هي موضع حاجة الناس إلا ويضع لها جواباً ...

أجل فإنّ الروح البشرية العطشى لا- يمكن ان تروى بسلسلة تشريعات جافة لاروح فيها من قبيل العشاء الرباني وشرب الخمر ولبس الصليب كقلادة وغير ذلك .

#### 4 - الحل عند الضرورة

ومن الأشياء التي لابد من توفرها في المبدأ لكي يتخد طابع الأبدية... أن يقدم للإنسان الحل عندما يصل الى طريق مسدود ... فالمقررات العامة والقوانين التي يقدمها المبدأ قد تتعارض فيما بينها أحياناً كما في موارد

الضرورة .

مثلاً بناء على تحريم شرب الخمر ... ووجوب الحفاظ على النفس يتعارض هذان الحكمان في مورد يتعين الخمر علاجاً لمريض . فيصبح هذا المريض في طريق مسدود لا يدرى بأي الحكمين يلتزم ؟

إذن - بالإضافة إلى المقررات العامة - لابد من تقديم الحل عند الضرورة .

هذه - بایجاز - أهم علل بقاء ودوام المبدأ وسترى فيما يلي وبایجاز أيضاً ما إذا كانت هذه المقومات قد روحت في التشريع الإسلامي أم لا.

#### الإسلام الدين الخالدي

1 - الانسجام مع الفطرة : ان القوانين والتشريعات الإسلامية قد لوحظ فيها حين تبنيتها وتشريعها فطرة الإنسان وحاجته ... ولذلك جاءت هذه التشريعات كفيلة بتتأمين التوازن بين غرائز الإنسان . مثلاً الغريزة الجنسية قدم لها الإسلام حلولاً مختلفة وواضحة يمكن عن طريقها ارضاء هذه الغريزة كما يمكن ايضاً وضع الحد لطغيانها وافراطها الذي يكون سبباً في

كثير من المفاسد والمشاكل التي تصيب.

2 - العمومية : القوانين الإسلامية ليست ذات طابع خاص بحيث تكون محدودة بزمان أو مكان حتى تلتزم بتغييرها مع مرور الزمان أو تبدل المكان ... بل هي عامة ملحوظ فيها جميع الأزمنة والأمكنة وتمام الحالات والأوضاع ... مثلاً: الجهاد في الإسلام لا يتخذ طابعاً خاصاً يجعله محدوداً كايحاب الحرب بالسيف، بل يلزم المسلمين أن يعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة ل يستطيعوا الدفاع عن حقوقهم الحيوية واحراز النصر في ميدان الحرب... وهذا الحكم كلي ينسجم مع جميع الأزمنة والحالات ..

وهكذا فإن القوانين الإسلامية الأصلية الأخرى تعتبر مباديء وقوانين عامة توضح لنا حكم كل واقعة خاصة .

3- الشمول: الدين الإسلامي أكثر الأديان شمولاً ... ولقد تناول المسائل الاقتصادية والعسكرية والحقوقية والأخلاقية وغير ذلك ... تناولاً متيناً دقيقاً تتفق عقول العلماء عاجزة متحيرة . ولا يفتقر هذا الادعاء العريض الى الدليل إذا ما لاحظناآلاف الكتب التي ألفها العلماء المسلمين في هذه الميادين والتي تستمد من معين القرآن الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

4 - الحل عند الضرورة في موارد الحاجة: نجد أن الإسلام وضع قوانيناً عامة تعين وظيفة الإنسان من قبيل: قانون «الضرر ولا ضرار في الإسلام»، ومن قبيل «الضرورات تبيح المحظورات»، ومن قبيل «ما جعل عليكم

، في الدين من حرج»[\(1\)](#)، وبالإضافة إلى ذلك فان للنبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) أو الامام المعصوم (عليه السلام) أو الفقيه الخبير بالشريعة الإسلامية أن يعين الوظيفة طبقاً لقواعد معينة ليس محل تفصيلها هنا

ص: 116

---

1 - قانون الاضطرار يجري في مورد العسر، وقانون الحرج يجري في مورد المشقة والتعب الشديد، وقانون الضرر يجري في مورد الضرر . وشرائط جريان كل قانون من هذه القوانين وخصوصياته مذكورة في كتب الفقه الإسلامي وعلم اصول الفقه، فعليكم بالرجوع اليها أو الى اساتذتها لمعرفة التفاصيل .

وهكذا، فإن هذه المقومات جميعها موجودة في الإسلام ... وبهذا يثبت أنا لسنا بحاجة إلى تشرع آخر لأننا إنما نكون بحاجة إليه حين التشريع الذي يلبي جميع حاجاتنا ... كما يثبت أنا لا نحتاج إلى النبيّ جديـد ليأتي بتشريع صالح ... والمفروض أنا نمتلك مثل هذا التشريع ... فعدم الحاجة إلى تشريع جديد هو عبارة أخرى عن عدم الحاجة إلى النبيّ جديـد ... وختـامية التشريع الإسلامي تعني خاتـمية النبيّ محمدـ(صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) لـلـأـنـبـيـاءـ جـمـيـعـاًـ صـلـوـاتـ اللـهـ عـلـيـهـمـ ....

## الخاتـميةـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ

تناول القرآن الكريم شمولية الشريعة الإسلامية وخاتـميةـ النبيـ(صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) في آيات عديدة نذكر منها:

1- وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدِقاً وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[\(1\)](#).

2- مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا[\(2\)](#).

وكـلمـةـ (خـاتـمـ)ـ بـفتحـ التـاءــ أوـ كـسرـهاــ عـنـدـ ماـ تـضـافـ إـلـىـ الجـمـعــ تكونـ

بـمعـنىـ آخرـ،ـ وـخـاتـمـ النـبـيـنــ يـعـنىـ آخرـ النـبـيـنــ[\(3\)](#)ـ،ـ وـالـنـبـيــ أـعـمـ منـ الرـسـوـلـ[\(4\)](#)ـ،ـ وـبـنـاءـ عـلـيـهــ فـانـ جـمـيـعـ رـسـلـ اللـهــ وـأـنـبـيـائـهــ يـطـلـقـ عـلـيـهـمــ أـنـبـيـاءــ،ـ وـاـذـنــ فـالـآـيـةــ الـكـرـيمـةــ تـقـوـلــ خـاتـمـ النـبـيـنــ فـانـهــ تـقـوـلــ أـنـهــ[\(صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ\)ـ خـاتـمـهـمــ جـمـيـعـاًـ وـلـاـ يـأـتـيـ بـعـدـهــ نـبـيــ وـلـاـ رـسـوـلــ وـلـاـ صـاحـبــ كـتـابــ وـلـاـ غـيـرــ ذـلـكـــ.](#)

3- إـنـ هـذـاـ الـقـرـآنـ يـهـدـيـ لـلـتـيـ هـيـ أـفـوـمـ[\(5\)](#).

صـ:ـ 117

1-1ـ الانـعامـ:ـ 115ـ،ـ تـقـسـيرـ المـيزـانـ:ـ جـ 7ـ،ـ صـ 348ـ،ـ تـقـسـيرـ مـنهـجـ الصـادـقـينـ:ـ جـ 3ـ،ـ صـ 439ـ.

2-2ـ الاـحزـابـ:ـ 40ـ.

3-3ـ لـسانـ الـعـربــ مـادـةـ «ـخـاتـمـ»ـ.

4-4ـ صـرـحـ بـذـلـكـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـفـسـرـونـ اـعـتـمـادـاًـ عـلـىـ الـلـغـةـ وـالـقـرـآنـ وـالـحـدـيـثـ،ـ لـلـتـأـكـيدـ رـاجـعـ جـامـعـ الـجـوـامـعـ صـ 275ـ،ـ تـقـسـيرـ المـيزـانـ:ـ جـ 2ـ،ـ صـ 144ـ،ـ تـقـسـيرـ الـكـشـافـ:ـ جـ 3ـ،ـ صـ 164ـ،ـ تـقـسـيرـ الـبـيـضاـويـ صـ 447ـ،ـ مـجـمـعـ الـبـيـانـ:ـ جـ 7ـ،ـ صـ 91ـ،ـ رـوحـ الـمعـانـيـ:ـ جـ 22ـ،ـ صـ 32ـ وـغـيـرــ ذـلـكــ.

5-5ـ سـوـرـةـ الـاسـرـاءـ:ـ 9ـ.

هذه الآية تدلنا على أن القرآن هو الدستور الأكمل والمنهج الأقوم، وطبيعي أنه والحالة هذه لا حاجة بنا لدستور آخر.

### الخاتمية في الأحاديث الشريفة:

لقد ورد ذكر الخاتمية في المصادر الإسلامية بكثرة . لاندع مجالاً للشك بها ... وسنذكر هنا بعض الروايات :

(1)

قال النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أيها الناس إنه لا نبيّ بعدي ولا سنة بعد سنتي فمن ادعى ذلك فدعوه وبدعته في النار ومن ادعى ذلك فاقتلوه ومن اتبعه فهو في النار الخبر [\(1\)](#).

وقال الباقي الصادق عليهما السلام: «لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيكم الأنبياء» [\(2\)](#).

وقال علي (عليه السلام) «ففقي به الرسل وختم به الوحي» [\(3\)](#).

وقال النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي» [\(4\)](#).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) : شريعة محمد لا تسخن إلى يوم القيمة، ولا نبيّ بعده إلى يوم القيمة [\(5\)](#).

هذه الروايات وكثير غيرها كما يرى القاريء العزيز - تدل بوضوح تمام على خاتمية النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلود الإسلام . وعظمة هذا الدين وسمو مقاصده وشمول قواعده وعموميتها مما يضمن جدته على مر الزمان ... وهذه نعمة كبرى من نعم الله عزوجل.

إن ديننا كهذا الدين العظيم ليجب أن يطرح على انه البديل لكل النظم والأديان ... فما أجمل أن نعمل في سبيل نشر الإسلام ليرى العالم خيره العظيم ...

ص: 118

1-1 - مستدرك وسائل الشيعة : ج 2 ص 262، باب 40 .

2-2 - اصول الكافي : ج 1، ص 177 .

3-3 - نهج البلاغة : الخطبة ، 133 منهاج البراعة: في شرح نهج البلاغة : ج 8، ص 304 .

4-4 - الكامل : ج 2، ص 278، ط سنة 1385 هـ . 278، ط سنة 1385 هـ .

5-5 - عيون أخبار الرضا : طقم ج 2، ص 80 .

الحديث الغدير و

خلافة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

ص: 119

## اشارة

السنة العاشرة للهجرة ... وهذا موسم الحج ... صحراء الحجاز تشهد جمعاً غفيراً من الحجيج وكلهم يسرون بشعار واحد نحو هدف واحد

هذه السنة يتميز الحج بحرارة خاصة، وال المسلمين يقطعون المسافات ويتجاوزون المنازل بسرعة وشوق .

صوت التلبية الحار يتعالى في صحراء مكة، وهذه القوافل (١) تقترب من أم القرى واحدة بعد الأخرى، وهؤلاء الحجاج بثياب الأحرام ذات اللون الواحد ... والتي علاها غبار الطريق ... وبالعيون التي اغورقت بالدموع ... يلقون بأنفسهم في أحضان بيت الله الحرام طائفين حوله ... ذلك البيت المقدس الذي شيد على يد أبي الأنبياء خليل الله إبراهيم (عليه السلام) ... والذي جعله الله سبحانه وأمناً لعباده في الأرض .

ويطل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) على المسجد الحرام يتلاطم بأمواج الحجيج... وكلهم أخوة في الله إنما المؤمنون إخوة مستغروفون في العبادة والصلة والدعاء بخضوع وخشوع كأنهم من الملائكة المكرمين .

وترى في وجه النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) علامات السرور والارتياح لهذا الانجاز العظيم ويحمد الله سبحانه على هذه النعمة فلقد استطاع أن يؤدي الرسالة على أكمل وجه. ولكن رغم ذلك ترى في وجهه (صلى الله عليه وآله وسلم) حالة من

ص: 120

---

1- 1 - يذكر محمد فريد وجدي في دائرة المعارف : ج 3، ص 542 ان عدد الحجاج هذه السنة بلغ 90/000 وقد ورد في الغدير: ج 1 ص 9 انه بلغ 124/000 .

الحزن والأسى العميق ليست وليدة الساعة بل كانت تبدو عليه منذ مدة بين الحين والآخر فتطفى على بشاشته النبوية وتغتال البسمة في شفتيه المباركتين.

إنه يفكر فيما بعد موته ... ويخشى على هذا التجمع أن يتبدد ... وعلى روح الاخوة فيه أن تذوب ... فيرجع المسلمين القهقرى الى ما كانوا عليه في الجاهلية .

إنه(صلى الله عليه وآلہ وسلم) يعلم جيداً أن امته بأمس الحاجة الى قيادة امام عالم عادل يحفظ جهوده (صلى الله عليه وآلہ وسلم) من الضياع.

نعم إن جهوده(صلى الله عليه وآلہ وسلم) التي استغرقت ما يقارب ربع قرن من الزمن .... تلك الجهود الجباره المضنية ... مهدده بالضياع إن لم تؤمن للأمة من بعده قيادة صالحة تقود السفينة الى الشاطيء المنشود . يدلنا على ذلك أنه(صلى الله عليه وآلہ وسلم) طيلة حياته المباركة كلما أراد الخروج من المدينة ومهما تكون مدة السفر صغيرة ... كان يسلم أزمة الأمور لشخص أمين كفوء ... ويفرض على المسلمين اطاعته وتنفيذ أوامره ... ولم يحدث ابداً انه(صلى الله عليه وآلہ وسلم) ترك المسلمين في المدينة بيد الحوادث تتصرف بهم كيف تشاء [\(1\)](#) وبناء على ذلك فكيف يمكن ان نتصور أنه (صلى الله عليه وآلہ وسلم) يترك أمور امته بعد وفاته بيد الحوادث والأهواء.

كان النبيّ (صلى الله عليه وآلہ وسلم) يعلم ذلك جيداً وكان يعلم ايضاً أن هذا المقام لمن... و من هو الذي يمكنه ذلك جيداً وكان المركز من هو هذا الإنسان الذي له فقط حق خلافة النبيّ (صلى الله عليه وآلہ وسلم)؟

انه ذلك الذي قال عنه النبيّ (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بحضور عدّة من شيوخ قريش (من أقارب النبيّ) : « إن هذا أخي ووصيي وخليفتني فيكم فاسمعوا له وأطيعوا » [\(2\)](#).

ص: 121

---

1-1 - الكامل: ج 2، ص 242 - 278 - 216 .

2-2 - الطبرى : ج 3، ص 1173 - 1171 .

إنه ذلك الرجل النزيه الطاهر الذي لم يشرك بالله طرفة عين ... ولم يسجد لصنم قط.

وهو الذي خاض الحروب مضحياً بنفسه ... وفدى النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بنفسه ليلة الهجرة ... كل ذلك لنصرة الدين ولترفع رايته خفاقة مصونة الجانب .

علمه الفياض يستقي من معين علم رسول الله ... وقضاؤه الأول [\(1\)](#) بعد قضاء النبيّ الأعظم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه المشهور والمعروف الا وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وانتقضى موسم الحج ... وتفرق الناس ... كل باتجاه بلده وأهله ... وفي الصحراء حدثت مفاجأة ...

منادوا النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يدعون المسلمين الى الرجوع إليه ... فماذا حدث؟

إنه الأمين جبرائيل (عليه السلام) يرد على رسول الله، أبلغه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [\(2\)](#).

ولم يكن هذا الموضوع الذي يخاطب الله سبحانه نبيه لأجله بلهجة شديدة إلا الإعلان الرسمي لخلافة الامام علي (عليه السلام) وذلك لأن النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان يحذّر من ذكر ذلك لأنّه كان يخشى أن يكون ذلك سبباً في وقوع الخلاف والفرقة الشديدة بين المسلمين - فكان لابد من انتظار المناخ الملائم ... وبعد نزول هذه الآية تبين أن المناخ الملائم مهيأ الآن ... ولذلك جمع النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) المسلمين في صحراء الحجاز المحرقة وفي مكان منها يدعى غدير خم حتى تبين لهم روح الإسلام وقوامه .  
الا وهي مسألة الخلافة...

ولم يكن الناس يعلمون لماذا صدر إليهم هذا الأمر وأي موضوع مهم

ص: 122

---

1- فضائل الخمسة من الصاحب ستة طبع دار الكتب الإسلامية : ج 1، ص 186 - 178 .

2- المائدة : 67 .

استجده ... ولكن سرعان ما أعلنت صلاة الجمعة ... وبعد أداء فرض الظهر ظهر الرسول الأكرم وسط هذا الجمع الحاشد بسيماه السماوية ... وارتقي المنبر الذي كان قد أعد من أقتاب الإبل ...

وخيّم الصمت على صحراء الحجاز اللافحة اللاهبة ... ولكن الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) مزق هذا السكون بكلماته الخالدة:

«... أيها الناس قد نبأني اللطيف الخير أنه لم يعمرنبي الا مثل نصف عمر الذي قبله وإنني أوشك أن أدعى فأجيب وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قاتلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهت فجزاك الله خيراً قال: أقسمت شهودن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لاري فيها وأن الله يبعث من في القبور . قالوا: بلى نشهد بذلك . قال : اللهم أشهد .»

... ألى أن قال (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بعد أن أخذ بيده علي (عليه السلام) فرفعها حتى بان بياض إبطيهما:

«أيها الناس من أولي الناس بالمؤمنين من أنفسهم قالوا : الله ورسوله أعلم. قال: إن الله مولاي وأنا مولي المؤمنين وأنا أولي بهم من أنفسهم فمن كنت مولاً فعلي مولاً (يقولها ثلث مرات وبتعبير ابن حنبل اربع مرات) ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاده وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واحذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار . ألا فليبلغ الشاهد الغائب» .

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحـى الله بقوله:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمْ إِسْلَامَ دِينًا) [\(1\)](#).

فقال رسول الله صلى الله عليه وآلـه : «الله أكبر على إكمال الدين

ص: 123

وأتم النعمة ورضى رب رسالتي والولاية لعلي من بعدي » طرق القوم يهنتون أمير المؤمنين (عليه السلام)، وممن هنأ في مقدم الصحابة الشیخان أبو بکر وعمر، كل يقول: بخَّ بخَّ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسیت مولای ومولی كل مؤمن ومؤمنة<sup>(1)</sup>.

## رواية حديث الغدير

يتجاوز عدد رواية حديث الغدير المائة وعشرين ألفاً ... وذلك طبيعي جداً اذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان المسلمين قد التزموا بقول النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) «ألا فليبلغ الشاهد الغائب» ثم إن هذه الواقعة كانت أهم حوادث سفر الحج في تلك السنة<sup>(2)</sup> ... ومن الطبيعي جداً أن يكثر نقلها والتحدث بها ...

ولأهميةها الخاصة كانت تشار بين الحين والآخر ... أي أنها لم تكن كسائر الحوادث العادية يدور حولها الكلام لمدة ثم يطويها النسيان...

ذات يوم وبعد مرور خمس وعشرين سنة على هذه الحادثة العظيمة - أي في الوقت الذي كان قد توفي فيه كثير من الصحابة ولم يبق منهم إلا قلة - طلب على (عليه السلام) في مسجد الكوفة ممن سمع حديث الغدير من النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ان يذكروه... فنهض من بين الجالسين ثلاثة ثلثون نفراً ونقلوا الحديث<sup>(3)</sup>.

وقبل موته معاوية بستينيأي سنة 58 أو 59 جـ- مـ ع الامام الحسين (عليه السلام) في مني هاشم والأنصار وسائر الحجاج وقال من جملة ما قال: أشدكم الله أتعلمون أن رسول الله نصبه (أي عليه) يوم غدير خم فنادى له بالولاية وقال ليبلغ الشاهد الغائب قالوا: لله  
نعم<sup>(4)</sup>.

ص: 124

1-1 - النص مأخوذ من الغدير ج 1، ص 10 - 11 .

2-2 - الغدير : ج 1 ، ص 60 - 61 .

3-3 - الغدير : ج 1 ص 166 - 174 ، مسنـد أـحمد بن حـنـبل : ج 4، ص 379 .

4-4 - الغدير : ج 1، ص 198 - 199 .

وقد أورد علماء السنة في كتبهم مائة وعشرة صحابي سمعوا حديث الغدير وتقلوه ... بالإضافة إلى أن عدّة من العلماء المعروفيين من السنة أيضاً - ألفوا كتاباً خاصة بهذا الحديث الشريف [\(1\)](#).

### معنى الحديث :

كل الدلائل توضح أن المقصود من كلمة «مولى وولي» في الحديث، الخليفة والقائد للأمة الإسلامية ولا يمكن ان تنسجم مع معنى آخر ... **واليك الدليل :**

1 - علمنا مما سبق أن النبي ﷺ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان يخشى من طرح حديث الغدير ... ولم يفعل ذلك إلا بعد أن ورد إليه الأمر الصريح وباللهجة الشديدة التي عرفت .

فهل يمكننا اذن ان نقول ان المقصود من حديث الغدير هو تذكير الناس بصداقته النبي ﷺ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لعلي (عليه السلام)؟... .

وان كان هذا هو القصد والهدف فما هو المبرر للخشية من الافصاح بهذا ... ولماذا يهدد هذا وحدة المسلمين واخوتهم ... ثم هل تستحق مسألة الصدقة بينهما صلوات الله عليهما ان يحشر الحجيج في بقعة من الأرض جراء ... تكوينهم الشمس من جهة... ورمضان الهجير من جهة أخرى ... فيضطر أحدهم أن يضع طرفاً من ثوبه تحت رجليه ... والآخر فوق رأسه كما يحدثنا التاريخ؟ [\(2\)](#)

2- ان النبي ﷺ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قبل أن يقول: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه» أخذ من المسلمين الاعتراف بأنه أولى بهم من أنفسهم .

وهذا يدل بوضوح على ان الولاية التي جعلها النبي ﷺ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

ص: 125

---

1-1 - الغدير : ج 1، ص 14 - 16 ، والبداية والنهاية : ج 5 ص 208 .

2-2 - الغدير : ج 1، ص 10 .

على (عليه السلام) هي عين الولاية التي هي له (صلى الله عليه وآله وسلم).

هذه الولاية ليست صدقة أو محبة بل هي ولاية عامة وقيادة مطلقة وإن كانت تتضمن المحبة والعطف فهو (صلى الله عليه وآلله وسلم) بالمؤمنين رؤوف رحيم.

3 - إنّ حسان بن ثابت قد ثبت قد نظم واقعة الغدير شعراً بإجازة النبيّ (صلى الله عليه وآلله وسلم) الله علّه وقد انتشر ذلك الشعر وشاع برضى النبيّ (صلى الله عليه وآلله وسلم) وعلمه... وقد ورد في حسان تصريح بالخلافة والأمامية ... ومع ذلك لم يعترض عليه معترض من ذلك الجمع الغفير قائلاً له إنك قد أخطأت في تفسير كلمة مولى ... بل ان الجميع استحسنوا شعره ومدحوه وإليك بعض شعر حسان:

فقال له قم يا علي فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهادياً

فمن كنت مولاً فهذا وليه فكونوا له أتباعاً صدق موالي<sup>(1)</sup>

لقد فسر حسان قول النبيّ (صلى الله عليه وآلله وسلم) بأنه نص على الامام بالخلافة ولم يعترض عليه أحد مما يدل على أن الجميع قد فهموا نفس ما فهمه حسان ومانفهمه نحن الآن.

4- إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآلله وسلم) وبعد الانتهاء من الخطبة الشهيرة أمر ان تنصب خيمة ليجلس فيها الامام (عليه السلام) للتهنئة وأمر المسلمين حتى نسائه هو (صلى الله عليه وآلله وسلم) ان يهنته ويبايعوه ويسلموا عليه بأمرة المؤمنين<sup>(2)</sup> ومن البديهي أن هذه المراسيم لا تسجم إلا مع الولاية والخلافة.

5- قال النبيّ (صلى الله عليه وآلله وسلم) هنئوني إنّ الله تعالى خصني بالنبوة وخصّ أهل بيتي بالإمامية<sup>(3)</sup>.

ووهكذا يرى القاريء العزيز ، أنّ هذه الشواهد توضح حديث الغدير ولا تبقى فيه أي إبهام .

ص: 126

1-1 - الغدير : ج 2 ص 34 - 41 تذكرة خواص الانمة لابن الجوزي الحنفي : ص 20 .

2-2 - الغدير : ج 1، ص 270 - 271 .

3-3 - الغدير : ج 1، ص 274 .



### اشارة

كلما تقدم العلم وترقت التكنولوجيا، ازدادت حاجة البشرية الى الأخلاق ... ومن الضروري ان تسير القوانين الأخلاقية التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام جنباً الى جنب مع التقدم العلمي والصناعي، وذلك لأنّ الحضارة المعاصرة لا تقدم للإنسان سوى وسائل الراحة ... والآلات على اختلاف أنواعها ... ولا تقدم أي ضمان يؤمن عدم استغلال الإنسان لهذه المخترعات والمكتشفات واستعمالها في ضرر الإنسانية.

وهذا الازدياد في إحصائيات الجرائم والجنایات والقتل والانتهار وسائر مظاهر الفساد ... إنما يوضح هذه الحقيقة ... اذا لم تكن الأخلاق - وهي جزء من رسالة الأنبياء عليهم السلام - مسيطرة على سلوك المجتمع .  
فإن العلم والصناعة ولا يمكنهما أن يؤمنا سعادة الإنسان واستقراره .

إن المستعمرين يستخدمون العلم والصناعة لمصالحهم - لأن الأخلاق فقدت - فيرملون الملايين ويسيطرون حقوق الشعوب المستضعفة ويستمدون دماءها وثرواتها.

إن العامل الوحيد الذي يستطيع أن يمسك بزمام غرائز الإنسان العارمة وعصيائه وتمرده العاتين ... والذي يستطيع أن يسخر العلم لصالح سعادة البشرية ... إنما ... إنما هو عامل الأخلاق التي تتبع من الإيمان الواقعي بالله سبحانه . وان تعاليم الأنبياء (عليهم السلام) و الأخلاقية وسلوکهم أفضل وسيلة يمكنها

أن توصل الدنيا إلى حياة أ مثل.

والأخلاق ضرورة الإنسان سواء في حياته الفردية أم الاجتماعية .

أما أولئك الذين يحملون مسؤوليات قيادية، فإن حاجتهم إلى الأخلاق تصبح أكثر إلحاحاً وذلك لأن المربى والمرشد يجب أن يكون مثالاً يحتذى وقدوة في الصفات الإنسانية العالية والأخلاق الكريمة حتى يمكنه أن يطهر قلوب الناس من الرذائل .

بينما اذا كان - رغم مسؤوليته الاجتماعية - لا يمتلك أي رصيد أخلاقي، فإنه لن ينجح في اداء وظيفته ... وستكون توجيهاته وجهوده ذات آثار سطحية لا تثبت أن تبدد.

ووثانياً: فان مسؤولية التوجيه الاجتماعي تبلغ من الأهمية حداً لا يمكن للإنسان معه أن يتحملها بدون أن يكون ذا مستوى أخلاقي رفيع ...  
ولأجل هذا فان الله سبحانه قد اختار أنبياءه يتحلون بالروحية العالية والصدر

الرب والحلم والتسامح وسائر الصفات الأخلاقية الفاضلة.

وبسلاط الأخلاق هذا استطاع الأنبياء (صلوات الله عليهم ان يحظّموا الأصنام ويعيّروا الأوضاع الفاسدة المستغرقة في الفساد ويقلبواها رأساً على عقب ... ويحررروا عباد الله من قبضة ال�لاك .

**وحول النبي محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) قال تعالى:**

(فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِئْنَتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيلَظَ القَلْبِ لَانْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ) (1)

أخلاق النبي محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) هي التي خلقت أول أمواج التيار الإسلامي في المنطقة العربية وفي العالم كله... وفي ظل هذه الثورة

ص: 129

. 159 - سورة آل عمران : 1-1

المقدسة تحولت الفرقة الى وحدة والتحلل الى عفة وطهارة والعطالة الى كدح وكد والأنانية الى محبة والتكبر الى تواضع وعطف وفي ظلها ايضاً نشاً أفرادهم نماذج أخلاقية وقدرة لمن سواهم ... ولقد كانت أخلاق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) العظمة بحيث شهد الله سبحانه بها فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ).<sup>(1)</sup>

وها نحن نتناول هذه الصفة العظيمة لنتعرف على بعض جوانبها:

### محمد بين الناس :

مع أن نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) كان له مقام نبوة جليل ... وكانت له سلطة وقيادة ... فإن حياته ومعاشرته كانت عادية تماماً وبدون تجملات بحيث ان الغريب كان اذا أقبل على مجلسه (صلى الله عليه وآله وسلم) يضطر أن يسأل أيكم محمد؟<sup>(2)</sup>

لم تغره الدنيا ولم تأسره المظاهر والاعتبارات ... ولم يقع في حبائل شباكها ... بل كان أبداً ينظر اليها بعين الزهد والتقوى.<sup>(3)</sup>

كانت عباراته (صلى الله عليه وآله وسلم) صغيرة اللفظ قصيرته، لكنها مليئة المعنى كبيرته ... لم يرقط ماداً رجليه بين أصحابه، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليه إن أبي ويكتفى أصحابه ويدعوم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه.<sup>(4)</sup>

ولم يكن حين كلامه لا مبالياً ... ولم يكن يستعمل الألفاظ القبيحة المستهجنـة.

ص: 130

. 4-1 - سورة القلم : 1-1

. 2-2 - مستفاد من أحاديث في البحار : ج 16، ص 220 - 229 الآخوندي طهران .

. 3-3 - مستفاد من أحاديث في البحار : ج 16، ص 220 - 229 ط الآخوندي طهران .

. 4-4 - كحل البصر : ص 69

وكان «يجيب دعوة الحر والعبد ولو على ذراع أو كراع ، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن وياكلها ولا يأكل الصدقة لا يثبت بصره في وجه أحد». [\(1\)](#)

كان اذا دخل منزلاً قعد أدنى المجلس حين يدخل [\(2\)](#).

لم يكن يرضى أن يقف أحد عنده وقفة الذليل وكان يحترم الجميع [\(3\)](#).

ولقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرفع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه [\(4\)](#).

انه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يغضب إلا لله وللدين ... ولذلك أيضاً كان يفرح.

عند ركوبه لم يكن يرضى بأن يرافقه أحد رجالاً.

في السفرات الجماعية - أي حين كان يخرج للحج أو في غزوة مثلاً - لم يكن يرضى بأن يكون كلاماً على مرافقيه .. بل كان يقوم بنصيبيه من العمل .

وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم) ... ولكنني أكره أن أتميز فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه ... وقام - بعد ذلك - فجمع الحطب [\(5\)](#).

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيأً لجميع معاهداته.

يصل الرحمة ولا يدافع عن رحمه بدون مبرر شرعى.

لا يسمح لأحد أن يتكلم على أحد فانه يحب أن يخرج إلى الناس وهو سليم الصدر [\(6\)](#).

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) مثالاً في التأدب والحياء .

وكان مثالاً في رحابة الصدر والحلم والتسامح .

يقول أنس بن مالك: كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شربة يفطر عليها وشربة للسحر، وربما كانت واحدة وربما كانت الشربة خبزاً يماث

ص: 131

1-1- البحار : ج 16، ص 226 - 228 .

2-2- البحار : ج 16، ص 240 .

3-3- البحار : ج 16، ص 229 - 281 - 282 - 282 .

4-4- نهج البلاغة (صحي الصالح) ص 228 .

5-5 - كحل البصر : ص 68 .

6-6 - البحار : ج 16، ص 232 - 226 .

فهيأتها له (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات ليلة (فاحتبس) النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فظننت أن بعض أصحابه دعاه فشربتها حين احتبس فجاء بعد العشاء بساعة فسألت بعض من كان معه هل كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أفتر في مكان أو دعا أحد؟ فقال لا إلى أن قال فأصبح صائمًا وما سألني عنها ولا ذكرها حتى الساعة [\(1\)](#).

ولقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يحب الصلاة كثيراً ولكنه عندما كان الناس يأتون إليه في حاجة ويجدونه مشغلاً بالصلاحة يخفف صلاته ثم يستمع إلى حوايج الناس ثم لا يدخل وسعاً في قضائهما.

كان يحترم الجميع .... ومقاييس الفضيلة عنده الإيمان والعمل ... ولم يكن يأبه بالثروة والجاه والمنصب .... كان عطوفاً على الرقيق مهتماً بشؤونهم وحوايجهم [\(2\)](#).

### تسامحه وعفوه :

لم يكن من طبعه محاولة الانتقام ممن أساء إليه ... وكان يتجاوز عن أخطاء الآخرين ... وكان يواجه أذيهم له بالعفو والتسامح [\(3\)](#).

ورغم كل الذي لاقاه من قريش في بدء الدعوة فإنه عند انتصاره عليهم في فتح مكة عفا عنهم [\(4\)](#).

عفا (وحشى) قاتل عمه حمزة وكذلك فعل مع أبي سفيان وهنده [\(5\)](#).

ولكن مع شدة عفوه وتسامحه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يقبل بأدنى تجاوز لحدود الله ... ولم يكن لتأخره في الله لومة لائم ... فعندما أخبر أن فاطمة

ص: 132

1-1 - كحل البصر : ص 67 - 68 .

2-2 - البحار : ج 16، ص 228 - 229 طبعة الأخوندي .

3-3 - البحار : ج 16، ص 264 - 265 .

4-4 - الكامل : ج 2، ص 252، ط 1385 هـ .

5-5 - الكامل : ج 2، ص 252 - 250 .

المخزومية سرقت لم يتقبل وساطة أسامة بن زيد وقال (1) انما هلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها.

### نظافته وطهارته :

كان (صلى الله عليه وآلها وسلم) يحافظ على أن يكون بدنـه وثيابـه على طهارة دائمـاً ... وكان يتعطر بأجود أنواع العطور ... حتى أن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: إنّ رسول الله كان ينفق في الطيب أكثر مما ينفق في الطعام (2).

ومن حيث مرّ (صلى الله عليه وآلها وسلم) وكانت تفوح رائحة العطر ... (3)

وانه(صلى الله عليه وآلها وسلم) كان ينظر في المرأة ويرجل جمته ويمشط وربما نظر في الماء وسوّى جمته فيه ولقد كان يتجمّل لأصحابه فضلاً على تجمّله لأهله وقال إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتّهيأ لهم ويتجّمل (4)

### عبادته وزهده

لقد كان له (صلى الله عليه وآلها وسلم) ولع شديد بالصلوة، روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) كان اذا صلّى العشاء الآخرة أمر لوضوئه وسواكه يوضع عند رأسه مخمراً فيرقد ماشاء الله ثم يقوم فيستاك ويتوضاً اربع ركعات ثم يرقد ثم يقوم فيستاك ويتوضاً ويصلّي، إنه كان يستاك في كل مرة قام من نومه (5).

وكان يطيل من خضوعه وخشووعه ووقفه بين يدي الله سبحانه حتى

ص: 133

- 
- 1 - ارشاد الساري : ج 9، ص 456 .
  - 2 - وسائل الشيعة : ج 1، ص 443 .
  - 3 - سفينة البحار : ج 1، ص 419 .
  - 4 - وسائل الشيعة : ج 3، ص 344 .
  - 5 - وسائل الشيعة : ج 1، ص 356 .

وكان (صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كثير التأمل شديد الاعتبار بما حوله من الأرض والسماء والشمس وغير ذلك، وكان أكثر ما يفكّر فيه هو عظمة الخالق ... وأما زهده فكان من العظمة بحيث أن مظاهر الدنيا الخلابة لم تقننه ولم تشده إليها.

لقد كان مُحَمَّد (صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قدوة في الصفات الأخلاقية الفاضلة ...

وطبعي أنه لا يمكننا أن نوفيها حقها من البحث في مقالة مختصرة ...

كلما يمكننا فعله هو أن نعطي صورة ما عن الصورة الواقعية الأصلية المشرقة حتى يعلم المسلمون شيئاً عن أفعال وسلوك نبيهم العظيم ويضعون ذلك نصب أعينهم ومثلاً حيالهم، قال تعالى:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [\(2\)](#).

فعليه سلام الله فإنه أول خلق الله وأفضلهم ... وسلام الملائكة والصالحين والمقربين ... وسلام احترام متن ومنك أيها القاريء الكريم .

ص: 134

---

1 - كحل البصر : ص 78

2 - الأحزاب : الآية 21

و خلافة النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلـم)

ص: 135

تدرك جميع المجتمعات البشرية مدى الحاجة الى الرئاسة والقيادة التي تتکفل بتحريك عجلة المجتمع ولهذا فانه بمجرد أن يموت قائد فعلى يدرک الكل ضرورة قيام آخر مقامه ... وليس من المعقول أن يبقى الوضع فوضوياً وبدون رئيس معين . وذلك لأنه لن يعود على عرى المجتمع الا بالتحلل والانقسام.

والمجتمع الإسلامي واحد من هذه التجمعات البشرية، وقد أدرك هذه ضروريه وهو يعي أنه لابد بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قائد يكمل مسيرته ... وعلى هذا القائد يتوقف بقاء الإسلام والمسلمين .

ولكن بما أن الحاجة الى القيادة ذات دوافع متعددة فقد تعددت آراء المسلمين حول خصوصيات القائد: فمنهم من يرى أن الغاية من وجود الحاكم تشكيل الجهاز الحكومي وحفظ هيبة الحكم ... ولذلك فان الخليفة ينتخب انتخاباً من قبل المسلمين.

ويقابل هذا الرأي رأي مدرسة آل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم فهم اعتماداً على براهين علمية وفلسفية وآيات قرآنية وروايات كثيرة، واعتماداً على رؤية للموضوع أدق وأبعد مدى يقررون:

ان الدافع لوجود الخليفة المسلم هو التكامل الانساني من شتى

الجوانب ... بمعنى أن الخليفة عليه ان يكمل المسيرة التي بدأها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هداية البشر وإرشادهم وتكاملهم المطلق.

وبناء على هذا فان القائد الذي يستطيع أن يقوم بهذه الرسالة يجب ان يكون معيناً من قبل الله سبحانه ... ويجب أن يكون كالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث قدرته على تعين مشاكل الأمة وتشخيصها ووصف العلاج الناجح لها ... وعلاجهما إنما يكون بالأحكام الإلهية الواقعية ... لأن هذه الأحكام هي وحدها التي يمكنها تأمين السعادة البشرية، وذلك لأنها من الله سبحانه والله يعلم نوازع النفس البشرية ومتطلباتها ... والقوانين التي تسعدها.

هذا هو الدافع الواقعي للحاجة الى القائد ... وليس الدافع ما تقوله تلك النظرة السطحية من أنه عبارة عن تشكيل الجهاز الحاكم وحفظ هيبة الحكم ...

و سنحاول هنا أن نتناول نظرة آل البيت وشيعتهم بشيء من التفصيل: إن سبب الحاجة الى خليفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو نفس سبب الحاجة الى نفسه، أو إن الخلافة تتم ذلك الأصل الذي ثبتت ضرورته وهو عبارة عن الهدایة العامة، أي ان كل مخلوق من المخلوقات قد أمنت له الوسائل التي بواسطتها يبلغ درجة الكمال ... ولكنه يحتاج فقط الى الهدایة كي لا ينحرف .

وطبيعي أن العقل لا يستطيع أن يؤمن له ذلك لأن رؤية العقل محدودة ... بالإضافة الى أن الفكر البشري معرض للاشتباه والانحراف الفكري والعاطفي ... ولا يستطيع أن يقدم القوانين والتشريعات السليمة والمثمرة ... ولذلك كان ولابد من بعث الأنبياء عليهم السلام لأنهم بواسطة الوحي من الله سبحانه يمكنهم أن يقوموا بهذه المهمة وبدون ان يقعوا في أي

خطأ مهما كان صغيراً ...

ومن البديهي أن هذا الدليل كما يثبت ضرورة وجود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الناس يثبت ايضاً ضرورة وجود الإمام المعصوم الخليفة حتى يبقى عقد الرسالة نضيداً بوجود القائد الكفوء الذي يقدم للناس رسالة السماء على أتم وجه ... ويقودهم إلى مراتب الكمال بفعله وسلوكه المثالي ...

نعم ... ان هذا الدليل يثبت ايضاً من ضرورة وجود الإمام المعصوم لأنه بدون ذلك لا يمكن للإنسان ان يستفيد من القدرات المخبأة فيه والتي وهبها الله سبحانه وتعالى له ليبلغ بها درجة الكمال . ومعنى ذلك أن وجود هذه القدرات في الإنسان سيكون عبيداً ولغوياً ... وهذا لا يصدر من الله سبحانه ... لأنه ليس من المعقول أن يودع في الإنسان قدرات لا حاجة له بها .

يقول الحكيم الإسلامي ابن سينا (في كتاب الشفاء) [\(1\)](#):

«... فالحاجة الى هذا الإنسان اي) النبي أو الولي في ان يبقى نوع الإنسان ويتحصل وجوده أشد من الحاجة الى إنبات الشعر على الأسفار وعلى الحاجبين وتغيير الا-خخص من القدمين وأشياء اخرى من المنافع التي لا ضرورة فيها في البقاء، بل اكثر مالها انها تنفع في البقاء وجود الإنسان الصالح لأن يسن ويعدل ممكناً كما سلف من ذكره فلا يجوز ان تكون العناية الأولى تقضى تلك المنافع ولا تقضى هذه التي هي أسباب الخ. وهذا هو الدليل الذي يوضح جيداً ان خليفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجب ان يكون منصوباً ومعيناً من قبل الله سبحانه ومعصوماً منزهاً عن المعاصي والأخطاء ...»

لان الخليفة ان لم يكن كذلك فهو معرض للوقوع في الخطأ كثيراً ... الى

ص: 138

---

1 - الشفاء الالهيات : ج 2، ص 441 ط 1380 هـ.

جانب مجھولاته اللامحدودة .... وفي النتيجة فلن يكون باستطاعته ان يدرك اسرار السعادة البشرية المتكاملة ولا ان يقدم الدين الواقعي الصحيح للناس حتى يسعدوا بتطبيقه والالتزام به و يصلوا الى درجة الكمال [\(1\)](#).

ولذلك فقد أوجب الله سبحانه على المسلمين اطاعة واتباع الذين نصبهم هو وعینهم لهذا المركز ... قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْكُمْ) [\(2\)](#).

من البديهي ان المقصود من « أولى الأمر » الذين أوجب الله طاعتهم كما أوجب طاعة الرسول وأمر باتباعهم في جميع الأشياء والأحوال هم. الأئمة المعصومون الذين عينهم الله سبحانه لخلافة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأئمة المنزهون عن الخطأ وعن الأغراض الشخصية، والذين يقومون بهداية البشر الى حقائق الأمور. وليس المقصود أبداً أصحاب الأهواء الذين تجد في أقوالهم وأفعالهم آلاف الأخطاء والذين لا يمكن أن تصل البشرية باتباعهم الى التكامل المنشود [\(3\)](#).

### هل عين النبي الأكرم خليفة؟

كان النبي الأكرم يفدي الإسلام العظيم بنفسه ... وكان يعلم أكثر من كل من عده ان الإسلام الواقعي يجب أن يبقى في العالم الإنساني محفوظاً مصاناً ... فهل يمكن مع هذا أن نتصور أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) التحق بالرفيق الأعلى

ص: 139

---

1-1 - للتوضيح اكثر يراجع كتاب (الشيعة في الإسلام) .

2-2 - سورة النساء : الآية 59 .

3-3 - للتوضيح اكثر يراجع تفسير الميزان : ج 4، ص 427 - 412 .

لقد أولى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من بداية مبعثه الشريف أهمية كبيرة لهذا الموضوع ... وقد نص على خليفته بشكل واضح في موارد مختلفة . إن كل من يفكر في أقواله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الموضوع جيداً يرى أن المقصود فيها ليس الأعلياً وآل البيت عليهم السلام، ولم يكن المراد أبداً أحد سواهم . وها نحن نقدم نماذج من أقواله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا المضمamar:

1 - قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) «أنت وليري في الدنيا والآخرة» [\(1\)](#) .

2 - تقل علماء الشيعة والسنّة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صرخ في الملاع العام عدة مرات قائلاً :

«إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي ...» [\(2\)](#) .

والمقصود بالعترة أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) علي وأولاده المعصومون عليهم السلام لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نص عليهم ولأنهم هم المنزهون عن الخطأ وهم الذين لم يكن اتباعهم يؤدي إلى الضلال .

3- يقول أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنفي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام):

«انت وليري في كل مؤمن بعدى» [\(3\)](#) .

4 - ذكر العلماء، شيعة ، وسنة ، إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر سنة من حياته الشريفة وبعد أداء فريضة الحج وقف بين عشرات الألوف من المسلمين

ص: 140

---

1 - 1 - مسند أحمد بن حنبل : ج 1، ص 331.

2 - 2 - مسند بن حنبل : ج 3، ص 17، وص 59 وورد في كتاب غاية المرام 39 حديثاً بهذا المضمون عن طريق السنة و 82 عن طريق الشيعة ص 211 - 235 .

3 - 3 - مسند أحمد بن حنبل : ج 1، ص 331.

وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه [\(1\)](#).

5 - هناك روايات كثيرة عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يصرّح فيها بأن خلفاءه من قريش وأنهم اثنا عشر خليفة... [\(2\)](#) حتى أنه ورد في بعض الروايات بيان خصوصيات الأئمة الأطهار عليهم السلام وأسماؤهم [\(3\)](#).

هذه النماذج التي صدر بعضها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر سنة من عمره المبارك ... توضح جيداً من وكيف هو الشخص الذي يجب أن يتولى زمام أمور المسلمين بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

### الشوري في الخلافة :

يعتقد فريق من الكتاب أن الخلافة يمكن أن تتم عن طريق الشوري وأكثريه الآراء ... وقد استشهدوا لهذه بعده آيات من القرآن الكريم ورد فيها الأمر بالمشاورة واعتبروا أن الانتخاب أحد الاسس الاجتماعية والسياسية في الإسلام غافلين عن:

- 1 - إن الامامة متممة للأصل الاساسي للنبوة، وكما أن النبوة تعينية وليس انتخابية فكذلك الإمامة التي هي خلافة ذلك المقام النبوي .
- 2 - إنما تكون الشوري حيث لم يعين التكليف والحكم من سبحانه، وكما تقدم فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طبقاً للروايات الصريحة قد عين خليفته، فلم يبق مجال للشوري أبداً .
- 3- لنفترض أن الشوري في هذا الأمر صحيحة ... حينئذ لاشك في ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يبين شرائط الناخب والمنتخب بشكل واضح حتى يكون

ص: 141

- 
- 1-1 - هذا الحديث من الأحاديث القطعية وقد أفت حوله كتب ضخمة - للتوضيح أكثر راجع الغدير : ج1،ص10-11.
  - 2-2 - صحيح مسلم : ج 6، ص 3.
  - 3-3 - منتخب الأثر : ص 10 - 141 وغيره .

الناس على بصيرة تامة من أمر هذه المسألة التي يتوقف عليها بقاء المجتمع الإسلامي وبقاء الدين المقدس ... ولكنّ نرى أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقل شيئاً حول هذا بل قال العكس، فحينما أسلم بنو عامر على يديه (صلى الله عليه وآله وسلم). قال له أحدهم:

رأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر الى الله يضعه حيث يشاء [\(1\)](#).

وعلى أساس هذه الروايات - وغيرها - يعتقد الشيعة أنّ خلفاء رسول الله الذين نص عليهم هو صلوات الله عليهم كلهم معينون من قبل الله سبحانه ... ويررون أن عليهم أن يرجعوا إلى هؤلاء الخلفاء والأئمة الطاهرين في جميع أمور حياتهم ... وأن يتلقّوا منهم تعاليم دينهم الواقعي الذي لم تتبّعه يد التحريف.

ولحسن الحظ إن هذا الاعتقاد قد أتاح لنا الاستفادة من علم آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجمع الذخائر والكنوز من الحقائق والمعارف التي يمكنها أن تضع الجواب لجميع مسائل الحياة في مختلف التواحي ... ولهذا كان مذهب التشيع مذهب آل البيت ... أعني المذاهب الإسلامية

وأثراها .

ص: 142

---

1 - السيرة لابن هشام : ج 1 ص 424 - 425 . طبعة سنة 1375 هجرية .

نظرة سريعة

لمسيرة الخلافة

ص: 143

أمر الله تعالى الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) بتعيين علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة له وابلاغ ذلك الى الناس .

وفي مطلع الدعوة الى الإسلام جمع الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) اقاربه وعشيرته وقال لهم مشيراً الى علي (عليه السلام) : إنّ هذا أخي ووصيي وَخَلِيفَتِي فِيمَا سَمِعُوا لَهُ وَأَطَاعُوهُ[\(1\)](#).

وعندما كان متوجهاً الى تبوك قال العلي (عليه السلام) : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنت لست بنبي، إله لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي [\(2\)](#).

وفي آخر سنة من حياته الشريفة وبعد أداء فريضة الحج وزيارة بيت الله الحرام والرجوع من ذلك وقف في غدير خم أمام عشرات الألف من المسلمين وقال :

من كنت مولاه فعلى مولاه [\(3\)](#).

ص: 144

---

1 - 1 - تاريخ الطبرى : ج 3، ص 1172 - 1173

2 - 2 - مسنن أحمد بن حنبل : ج 1، ص 331

3 - 3 - الغدير : ج 1 البداية والنهاية : ج 5، ص 209 .

وكذلك في آخر لحظات حياته قال للناس وأصحابه وأتباعه .

إني أشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم التقلين - ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي - كتاب الله عز وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروني بم تخلفوني فيهما [\(1\)...](#)

كما اننا نجد من خلال عشرات الروايات الأخرى انه أكد على هذا الأمر وهيا الأرضية المساعدة ليكون زمام الأمة الإسلامية بشكل طبيعي بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام) وحتى أنه لم يكتف بهذا القدر، وإنما قام ببعض الخطوات العملية الرائعة ليفشل كل الخطط المبيتة لكسب الخلافة وتحريف المسيرة .

فقد أعد جيئاً بقيادة أسامة بن زيد، وهو شاب كفؤ قوي ليرسله الى الروم، وأمر أهل المدينة بالالتحاق بالجيش وفيهم المهاجرون والأنصار ومنهم أبو بكر وعمر، وطلب اليهم الخروج من المدينة وكرر التأكيد على لزوم تنفيذ بعث أسامة، وكان يكرر القول لكل من يرجع قائلاً:

[«أنفذوا بعث أسامة » \(2\)](#)

وتشكيل هذا الجيش واختيار أسامة لقيادته في تلك الفترة حيث كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد مرض مرضًا شديداً فكان يقضي آخر لحظات عمره الشريف، هذا التشكيل لم يكن الا لتخلية المدينة من العناصر المعاشرة وسوق الخلافة وقيادة العالم الإسلامي بشكل طبيعي الى الامام علي (عليه السلام)، وكذلك لكي يعلم الجميع الشیخوخة ليست شرطاً في القائد

ص: 145

---

1-1 - مسنن أحمد بن حنبل : ج 3، ص 17 وص 59 .

2-2 - كتاب الطبقات الكبير : ج 2، القسم الأول ص 137، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ج 1، ص 160 - 159 طبع 1378 .

وانما الشرط الكفاءة، ولئلا يجعل صغر سن الامام علي (عليه السلام) ذريعة لاقصائه عن مقام الخلافة، ولكي يستطيع الرسول(صلى الله عليه وآلـه وسلم) ايضاً ان يكتب سند خلافة الامام (عليه السلام) في منأى عن معارضـة المعارضـين.

آلا ان المخالفـين انفصلوا عن جيش أسامة ورجعوا الى المدينة وحينئذ طلب رسول الله (صلـى الله عـلـيـه وآلـه وسلم) من جـمـعـ صـحـابـتـهـ قـائـلاـ : اـيـتوـنيـ بـدوـاـ وـصـحـيفـةـ أـكـبـرـ لـكـمـ كـتابـاـ إـنـ تـمـسـكـتـمـ بـهـ لـنـ تـضـلـلـواـ بـعـدـهـ اـبـداـ ... فـردـ عـلـيـهـ بـعـضـ أـصـحـابـهـ وـوـصـفـهـ بـالـهـجـرـ وـكـانـ فـيـ الـبـيـتـ لـغـطـ وكـلامـ وـقـالـ عـمـرـ : قـدـ غـلـبـهـ الـوـجـعـ وـعـنـدـكـمـ الـقـرـآنـ حـسـبـنـاـ كـتـابـ اللـهـ .

ولقد تألم الرسول (صلـى الله عـلـيـه وآلـه وسلم) من هذا الأمر بشـدـةـ وـعـلـمـ انـ كـاتـبـتـهـ لاـ يـمـكـنـهـ وـالـحـالـ هـذـهـ اـنـ هـذـهـ تـرـفـعـ الاـخـتـلـافـ، وـحتـىـ اـنـهـ قدـ تـوـجـبـ القـضـاءـ عـلـىـ اـسـاسـ اـلـإـسـلـامـ وـلـذـاـ فـقـدـ اـظـهـرـ تـبـرـئـهـ وـتـأـلـمـهـ مـنـهـمـ قـائـلاـ لـهـمـ : قـومـاـ عـنـيـ (1).

### السفينة وما جرى فيها

توفي الرسول الأعظم (صلـى الله عـلـيـه وآلـه وسلم) في الثامن والعشرين من شهر صفر في السنة الحادية عشرة للهجرة وعمـ المدينة حزن شديد.

وفي الـاثـنـاءـ قـامـ جـمـاعـةـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ باـغـتـاتـ الـفـرـصـةـ الـمـسـاعـدـةـ وـتـرـكـواـ جـسـدـ الرـسـوـلـ (صلـى الله عـلـيـه وآلـه وسلم) وـتـجـمـعـواـ فـيـ سـقـيـفـةـ بـنـيـ سـاعـدـةـ.

أراد الأنصار أن ينصبو زعيـمـهمـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ كـخـلـيـفةـ لـلـرـسـوـلـ (صلـى الله عـلـيـه وآلـه وسلم) فـلـمـ يـوـافـقـ عـلـىـ هـذـاـ عـمـرـ وـأـبـوـ بـكـرـ، وـقـدـ أـوـضـحـ أـبـوـ بـكـرـ، خـلالـ حـدـيـثـهـ مـقـامـ الـمـهـاجـرـينـ وـانـهـمـ سـبـقـواـ لـلـاسـلـامـ وـانـهـمـ عـشـيـرـةـ الرـسـوـلـ (صلـى الله عـلـيـه وآلـه وسلم) وـأـنـ اـمـيـرـ الـمـسـلـمـينـ يـجـبـ أـنـ يـكـونـ مـنـهـمـ وـالـوـزـيـرـ مـنـ الـاـنـصـارـ، وـهـنـاـ نـهـضـ أحـدـ

ص: 146

الأنصار مقترباً ان يختار كل فريق أميراً له، إلا أن حديث أبي بكر أثر في عدّة من الحاضرين واستعدوا لأن ينتخب الأمير من المهاجرين، ويدون أن يستشروا الباقين من المهاجرين والأنصار غير الحاضرين في المجلس ويطلعوهم على هذا التصريح في هذا الموضوع الإسلامي الخطير صاروا هم القيمين على كل الشؤون .

وتداول أبو بكر وعمر الخلافة . فكان كل يقدمها لصاحبها وأخيراً باباً يقع عمر أباً بكر عليهها [\(1\)](#) وبعد ذلك قام أولئك المعارضون لأمارة سعد بن عبادة بالبيعة لأبي بكر [\(2\)](#) كل ذلك دون أن يدركون أنه لو كان المقياس في الفضيلة هو قربة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان من هو أقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أبي بكر وهو أليق من أي جهة بالأمر وكانت هذه البيعة المفاجئة هزيمة لسعد بن عبادة وأنصاره، ونصرأً للعمر وأبي بكر، وقد أجبر بعض المعارضين على البيعة بحجة أنه لا تجوز مخالفة جماعة المسلمين [\(3\)](#) .

وعندئذ خرج أبو بكر وعمر وانصارهما من السقيفة واتجهوا نحو مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانوا يرفعون يد من يلاقونه ولا يدعونه إلا أن يباعي أبا بكر [\(4\)](#) .

وعرف بنو هاشم وكبار المهاجرين والأنصار مثل العباس عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأولاده والزبير والحباب بن المنذر والمقداد وأبي ذر الغفارى، وسلمان الفارسي، وعمار، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب،

ص: 147

- 
- 1- الطبرى : ج 4 ص 1843 - 1839 . الكامل لابن الأثير : ج 2، ص 325.
  - 2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 1 ، ص 10 .
  - 3- الطبرى : ج 4 ص 1845 .
  - 4- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 1 ، ص 219 طبع 1378 هجرية .

واعتبرة بن أبي لهب ، وخالد بن سعيد، وخزيمة بن ثابت وفروة بن عمرو، عرفوا بالخبر فجأة وكانوا يجهلونه، فغمرتهم الدهشة<sup>(١)</sup> وامتنعوا عن البيعة، بعد أن لم يستطيعوا ان يتصوروا كيف ان الخلافة انحرفت عن مسیرها بسرعة رغم كل تلك الروايات وتصريحات الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) وخرجت من يد أهل البيت(عليهم السلام).

وقال علي (عليه السلام) في جواب أبي عبيدة نصير أبي بكر الذي تذرع بحججة صغر سنّه وعدم توفّره على التجربة الكافية: يا معاشر المهاجرين، الله الله، لا - تخرجو سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيتكم ودوركم ولا - تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه؛ فوالله يا معاشر المهاجرين لنحن - أهل البيت - أحق بهذا الأمر منكم؛ أما كان منّا القاريء لكتاب الله، الفقيه في الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا

الهوى فتى دادوا من الحق بعدها (2).

ولما بويع أبو بكر في يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج علي (عليه السلام) فقال: أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقاً، فقال أبو بكر: بلـي؛ ولكنـي خشيت الفتنة... ولم يبايعه أحدـمـنـبنيـهاـشمـحتـىـماـتـفـاطـمـةـ(سلام الله عليهـهاـ)(3).

ان مطالعة تاريخية للحوادث التي سبقت وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأيام القليلة التي تلتها، تكشف لنا بوضوح عن مؤامرة دقيقة متشعبة الجوانب، وإلا فلماذا لم يخبروابني هاشم وكبار الصحابة باجتماعهم في سقيفةبني ساعدة؟ ولنفرض - جدلاً - أنَّ  
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يعين الخليفة

148:

- 1 - الفصول المهمة تأليف السيد شرف الدين الموسوي : ص 41 - 42 .
  - 2 - شرح نهج البلاغة لابن ابي الحميد : ج ، 6 ، ص 13 - 11 طبع 1379 هجرية.
  - 3 - مروج الذهب : ج 2 ، ص 301 طبع 1965 م.

من بعده فهل من الصحيح ان يبيت في امر يرتبط بمصير العالم الإسلامي دون مشورة علي (عليه السلام) وأصحابه وبني هاشم وكبار الصحابة مثل سلمان وأبي ذر والمقداد؟

فهل كان أولئك يفكرون أحسن من علي (عليه السلام)، ألم يقل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل في علي (عليه السلام) :

(علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض يوم القيمة) [\(1\)](#).

(أقضاهم علي بن أبي طالب) [\(2\)](#).

(أنا مدينة العلم وعلى بابها) [\(3\)](#).

فلماذا لم يبايعوه خليفة وحتى أنهم لم يستشوروه في هذا الأمر الهام. وهل يمكن اتخاذ حداة سنه ذريعة؟ ألم يجعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوام التقديم في الكفاءة والتقوى، ولذا قدم أسامة على أمثال أبي بكر، فلماذا لا يتقدم علي على غيره؟

ولقد تذروا بذرية أخرى هي ان الدماء التي سفكها علي في الحروب الإسلامية تمنع الكثرين من الانضواء تحت لوائه.

نعم تناسوا وأغفلوا كل الروايات والتصريحات التي صرحت بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بحقه في حين أن المقاييس تقضي أن يجبر الرافضون للحق على إتباعه لأن يخالف الحق لهذه الذريعة.

هذا علاوة على أنه لو كان هناك سبب صحيح لم يختار الله تعالى علياً خليفة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ص: 149

---

1-1 - تاريخ بغداد : ج 4، ص 321

2-2 - فضائل الخمسة من الصاحب الستة : ج 2، ص 262 .

3-3 - فضائل الخمسة من الصاحب الستة : ج 2، ص 250 .

سؤال: يسأل بعض إخواننا المسلمين المنصفين قائلين:

اننا لا يمكن أن ننكر مسألة الغدير وسائر الأدلة المقامة على خلافة

الامام علي (عليه السلام) ولكن لماذا لم يدافع علي نفسه عن حقه بعد وفاة الرسول (عليه السلام) في حين إنه حارب عند خلافته كل أولئك الذين قاموا ضده وأرادوا غصب حكومته؟

الجواب: إنّ علياً (عليه السلام) لم يكن ليعرف بحكومة أبي بكر، ولذا فإنه لم يكن ليحضر جماعته وجماعته، واستعن بالناس ليستعيد حقه المغضوب، حتى أنه كان يطوف بالزهاء فاطمة سلام الله عليها ليلًا على بيوت الأنصار ويطلب معونتهم في الأمر ولكنهم تذرّعوا بأنهم بايعوا وقد قضى الأمر [\(1\)](#).

لقد كان الأنصار حديثي عهد بالإسلام، ولذا فقد كانت العادات والأخلاق الجاهلية مازالت معششة في أعماق نفوسهم، ولذا فإنهم لم يكونوا بقادرين نفسياً على تجاوز بيعة أبي بكر رغم أنها وقعت في غير محلها ومن ثم نصرة علي (عليه السلام).

فعلي (عليه السلام) إذن لم يكن يملك ناصراً بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقوم مطالباً بحقه والا فلم يكن متوانياً في أخذ حقه وقيادة العالم الإسلامي .

وهذا ما تجلّى عندما ثار الناس بوجه عثمان وقتلوا واتجهوا بكل حماس نحو علي (عليه السلام) ومدوا إليه يد البيعة فأعلن أنه لا عذر له في عدم قبول الأمر بعد قيام الحجة بوجود الناصر [\(2\)](#) فهو (عليه السلام) به وقاد العالم

ص: 150

---

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 6، ص 13 طبع 1379 .

2- نهج البلاغة فيض الاسلام الخطبة 3 ص 37 - 43 .

الإسلامي أروع قيادة .

أما بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فإنه كان يرى الاصرار على المطالبة بحقه رغم عدم الناصر، لا ينتج إلا ازدياد الاختلافات الداخلية، الأمر الذي يعود ضرره على الإسلام ودولته الفتية . ذلك أنّ أعداء الإسلام كانوا

يتربصون به الدوائر يتنهرون الفرص للانتقضاض على مكاسبه .

وعلي (عليه السلام) أراد أن يحفظ الإسلام، والإسلام لديه أعز من كل شيء لقد رأى (عليه السلام) وهو البطل المقدام الذي وقف جنباً إلى جنب الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) في حربه وصراعه ضد الكفر، رأى أن صلاح الإسلام والمسلمين يكمن في تركه التحرك والمعارضة الثورية والصبر على مضض الألم.

لم يكن علي (عليه السلام) طالب رئاسة ولذلك لم يتسلل بشتى الوسائل للوصول إلى منافعه الشخصية، وأننا نجد علياً يتخذ الموقف الرسالي المسؤول عندما يأتيه أبو سفيان قائلاً : ابسط يدك أبي ياعك، فوالله لئن شئت لأملاتها عليه خيلاً ورجالاً.

ليرفض علي (عليه السلام) هذا العرض الخبيث الماكر ويقول له :

(والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرًا لا حاجة لنا في نصيحتك)[\(1\)](#)

والواقع :

إننا لم نطرح هذا البحث إلا ليقوم الأخوة من أهل السنة بمراجعة مصادرهم المعترفة ويتحققوا ويبحثوا حول هذه الحقائق التاريخية لنصل

ص: 151

---

1 - الكامل لابن الأثير : ج 2، ص 326 طبع سنة 1385 هجرية .

بالتالي الى تقاهم فكري وتعاون أخوي صميم ونسى الماضي المرّ ونخطو معاً على طريق الوحدة الإسلامية الشاملة .

الصفحة

ص: 152

العنوان مقدمة العنوان مقدمة

العالم والعرب قبل ظهور الإسلام...3

الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام...7

النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولادته وطفولته...11

ولادته وطفولته...12

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الوليد العجيب...13

حليمة مرضعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)...14

محمد في غمرة الأحداث...15

صفات وملامح محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)...15

ص: 153

خواطر من حياة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في طفولته وشبابه...17

خواطر من حياة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)...18

حدث بحيري الراهن مع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)...19

رعي الغنم وأثره في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)...21

عفته وطهارة نفسه وتعاليه عن المغريات...22

الزواج الأول لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)...25

اقتراح خديجة (سلام الله عليها)...27

من هي خديجة (سلام الله عليها)?...27

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يسافر إلى الشام...28

اقتراح الزواج...29

تعدد زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على واقعه ...31

نماذج من تهم المسيحيين...32

حكم التاريخ وقضاؤه...34

استجواب للمستشكلين...34

تعداد أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)...35

الاتهامات الباطلة...37

شخصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) قبلبعثة...41

غريزة التقليد والمماشاة...42

مجتمع الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام...42

الأئمّة قادة المجتمعات لا أتباعها...44

حكم النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بَيْنْ قُرَيْشٍ فِي وَضْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ...45

بداية الوحي...47

رسالة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) العالمية...48

محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي سنِ الْأَرْبَعينِ...49

هل كان محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يمرّ في غار (حراء)...50

ما هو الوحي؟...51

هل الوحي نوع من المرض؟...52

الوحي وعلم اليوم...54

طريقة النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في تبليغ رسالته...55

طريقة النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)...56

خديعة في انتظار محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)...57

علي (عليه السلام) أول من أسلم من الرجال...58

تشريع الصلاة...58

ثلاث سنوات من التبليغ العملي...59

دعوة الأقربين...60

ص: 155

الدعوة العامة لمحمد(صلى الله عليه وآلها وسلم)...63

الدعوة العامة لمحمد (صلى الله عليه وآلها وسلم)...64

نداء محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) على الصفا...64

ردود الفعل لنداء النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم)...65

قريش تقدم الشكوى لأبي طالب...66

قريش تحاول اغراء النبي(صلى الله عليه وآلها وسلم)...67

مشاكل الطريق و تعذيب قريش...69

تعذيب قريش...70

الضغوط الاقتصادية...73

الحرب النفسية...74

التعذيب الجسدي...74

حجرة النبي محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم)...75

الهجرة من أجل الهدف...76

يشرب...77

المؤامرة...77

الاخلاص والفداء...78

إلى غار ثور...78

إلى يشرب ...79

يشرب تنتظر...80

ص: 156

درس من الهجرة...81

أطروحة الأخوة الإسلامية...83

المجتمع الفاصل...84

ابتكار في ميدان الاخوة...84

الاخوة الإسلامية في عصرنا الحاضر...87

الجهاد في الإسلام...89

نبي الرحمة...90

أهداف الجهاد...91

ما أجمل كلام الله...92

هل انتشر الإسلام بالسيف...93

د汪ع حروب النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وأحصاء القتلى فيها...97

إيديولوجية التفاهم الدولي...98

1 - حرب بدر...99

2 - حرب أحد...101

3 - الأحزاب والخندق...101

4 - بنو قريظة...101

5 - حرببني المصطلق...102

6 - خيبر...102

ص: 157

7 - مؤتة... 103

8 - فتح مكة... 103

9 - حنين - هوازن... 104

عدد القتلى... 105

عالمية الإسلام... 108

الإسلام دين الشرق والغرب... 108

من مكة دعى النبي العالم الى الإسلام... 109

شاهد آخر على عالمية الإسلام... 110

وظيفتنا في تبليغ الإسلام... 112

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الانبياء... 113

خلود الإسلام... 114

الإسلام الدين الخالد... 115

الخاتمية في القرآن... 117

الخاتمية في الأحاديث... 118

حديث الغدير وخلافة النبي... 119

واقعة غدير خم... 120

رواية حديث الغدير... 124

معنى الحديث... 125

ص: 158

أخلاق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلوكه... 127

نهاية المدى في الأخلاق... 128

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الناس... 130

تسامحه وغفوته... 132

نظافته وطهارته... 133

عبادته وزهده... 133

مسألة الخلافة وخلافة النبي... 135

النهاية إلى القيادة... 136

هل عين النبي الأكرم خليفة؟ ... 139

الشوري في الخلافة... 141

نظرة سريعة لمسيرة الخلافة ... 143

السقيفة وما جرى فيها... 146

سؤال... 150

الجواب... 150

ص: 159

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التجوید : 41)

منذ عدة سنوات حتى الان ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتحصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمي: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم 129، الطبقه الأولى.

عنوان الموقع : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 . 09132000109 شؤون المستخدمين



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

وللإيصال من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩

